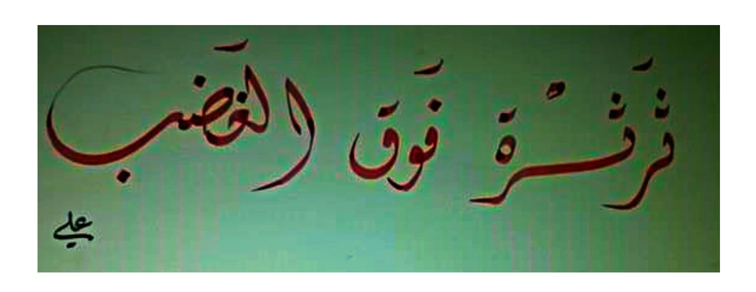

ثَرْثَرَةٌ فَوْقَ الغَضَب

حسنية الدرقاوي



مجموعة قصصية لقهر اليأس

اسم الكتاب : ثرثرة فوق الغضب.

الكاتبة : حسنية الدرقاوي.

التدقيق اللغوي: أ. حنان شمراح.

صورة الغلاف : الرسام الكاريكاتوري عبد الله درقاوي.

تصميم الغلاف والصور مع المقولات والإخراج الداخلي: الكاتبة.

hassaniadarkaoui@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للكاتبة، لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو جزء منه بأي شكل من الأشكال أو بأي من أدوات النشر الإلكتروني أو النسخ أو التسجيل الصوتي إلا بإذن خطي مسبق من الكاتبة.

رقم الإيداع القانوني :2016M 04092

ر د م ك :978-9954-38-612-5

2016



مجموعتي القصصية معظمها حقيقية من نسج معاناة واقعية، لا تحتاج بالضرورة إلى نفس روائي طويل وعميق، ولا إلى باع لغوي مترف أو ذكاء تحليلي بل فقط إلى إحساس، لأن كل واحدة- بما أن أغلب القصص بصيغة هي- قد تجد نفسها في نص أو أكثر..

هي صرخات نساء شمرن أكتافهن في وجه الفجيعة ..

هي للبائسات اليائسات سرا وعلنا، للعاملات، للقرويات وربات البيوت..

للراضخات للقهر الاجتماعي دون سند.. للمكتويات بنار الخيانة الزوجية و الهجر والخذلان..

هي دعم نفسي ودعوة صريحة للتحلي بالروح الدينية الإيجابية الأخلاقية، وتخطي الكبوات العشقية في قالب قصصي خفيف، مع اقتراحات تحفيزية إيحائية لقهر الألم والاِستمرار بتفاؤل وحب للحياة.

قصص، يحتاج الرجل نفسه قراءتها، كي يعرف بعض ما تخلفه تصرفاته من معاناة في القلوب..قد يجد مشكلة أو أخطاء تخصه..

حاولت تبسيطها وإظهار الرئيسي فيها، مع التركيز على التأثير العاطفي النفسي كي أصل إلى عمق الألم وأصف تجلياته كما يجب، حتى لا أقع في دراسة أكاديمية اجتماعية للظواهر..

والجديد أنها غير تقليدية، لأني حاولت بهذه المجموعة القصصية لقهر اليأس أن أحمل إليكم العالم الأزرق الافتراضي "الفايسبوك" بين دفتي كتاب، كاِستئناس مستمر لعلاقتنا اليومية معه، لتشعروا كأنكم في ضيافة صفحة فايسبوكية، قصصها متنوعة ومختلفة، مرفوقة بمقولات بليغة تناسب النص الذي تتذيله لأدباء ومفكرين عرب، اشتغلت على انتقائها مع خلفيات مصورة لأماكن طبيعية مميزة لوطني المغرب..

إضافة إلى توظيفي للرموز التعبيرية التي أصبحت جزءا من اللغة التواصلية الحداثية للجيل الحالي.

كما أني أنتقل في مجموعتي القصصية من ظاهرة لأخرى مع التركيز على الخيانة الزوجية والهجر، لأنهما الظاهرتان اللتان تكسران عنفوان أي شخص، مع تسجيل لبعض الأحداث الذاتية كوصف واقعي لحياتنا الاجتماعية.

اخترت اللون الأزرق في الغلاف لاعتبارين، أولهما لتوافق اللون الرسمي للفايسبوك الذي تحاكيه مجموعتي، وثانيهما أن اللون الأزرق له دلالات إيجابية أصبو إليها في سياق عرض التداعيات النفسية لهذه الظواهر الاجتماعية، فهو لون السلام الروحي وتجل للكرامة والثقة وشعور بالحرية والرغبة في البوح والتواصل، وللأزرق تحفيزات نفسية إيجابية لتحقيق الاستقرار النفسي والمعنوي وإحساس بالقوة والسيطرة على العواطف.. وهذه أمنياتي لكل متخبط (ة) في المشاكل.

دائما كنت أكتم رغبتي في الكتابة، لخوفي الشديد من الوقوع في المحظور أو ترك سنة سيئة تطاردني بعد موتي..وأرجو أن أكون في عملي هذا توفقت في تجنب المفسدة وغضب الله..

دائما أؤمن.. أن الأدب إن لم يخدم اسمه ومعناه.. فهو عارٍ من نفسه وعارٌ على صاحبه.

لن أطيل، لأني أعرف أن الجميع يحب الدخول لأي كتاب دون أي مقدمات!.

طنجة: صيف 2016

حسنية الدرقاوي



الإهداء

إلى أمي التي زرعت في روحي الطموح في أن أكون..

إلى والدي الذي تركني أحلق كي أكون..

إلى إخوتي....إدريس، محمد، محسن، نعيمة..

إلى قدوتي منذ الطفولة مع الكتب، مليكة والمكي..

إلى أساتذتي، منارتي في الإعدادي أ. محمد جيري، أ. عبد الرحيم الورداسي، أ.مصطفى مدان.

إلى صديقات العمر الوفيات: حنان شمراح، مونية مصلح، خديجة الوافي، نورة برهو، ليلى البصراوي..

إلى صديقاتي في العالم الأزرق، وصديقاتي الكاتبات المغربيات والعربيات وكل المتابعات..

إلى روح جدتي رحمها الله..

إلى براري قريتي المعازيز..



إلى الدفء المنير في قلبي..

إلى مسند قامتي ورفيق دربي..

إلى عشقي وزوجي و والد أطفالي يحيى..

إلى بكري زكرياء شافاه الله وعافاه وكل أطفال العالم..

إلى قرتي عيني طفلي زهير وزياد..

إلى طفلتي أميرة الصغيرة..

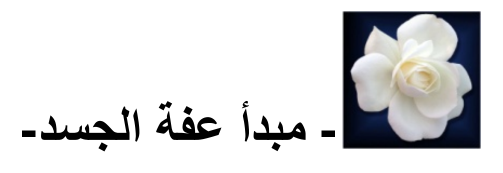
إلى كل عائلتي وعائلة زوجي..

كل الحب لكم.



"ياللعجب...أزرع قلبي على الورق..
فينبت في قلوب الناس".

"ميخائيل نعيمة"



- مبدأ عفة الجسد-

هل من المفروض أن نعطي مبررا للمبدإ..وهل يحتاج المبدأ إلى مبرر كي يكون..

طلبوا مني الصدق فكنته، فقالوا عني البرودة والوقاحة...

لأنحرف تجربة إلى الكذب، فقالوا عني اللباقة واللياقة..

لأصوم المذهبين وألتزم الصمت ..

وأقتل الصوت ..

وأقبل الموت بشفاه تنشذ الحياة..
ألقوا بي إلى الهامش، ألوك أرقام مراجع الهزيمة..

وأعد الأيادي التي صفعت ذكائي بطيبة مني..

دائما عند كل صفعة أقول: ستكون هذه الأخيرة..

لتكون فقط الأولى في اليوم والشهر والسنة..
حاولت بشراسة أن أقتل الطيبة داخلي ..فقتلوني ..

ليمتحنني الظلم ويهينني كي أنهي علاقتي بالطيبة وأصومها..ولم ينس أن يوجه لي القنابل الملغومة باللؤم والخبث كي أنحني..ويقذف على سعة صدري صواريخ يدوية بالتنكر والنكران...

ولكنه نسي أو تناسى، أن شموخ الطيبة الصادق لا ينثني...

حاولت أن أنتزع ثقتي العمياء في كلام الذوات.. فوجدتهم ينتزعون ثقتي مني..

حاولت أن أرفع من عدد المعارك الرابحة ضد الشيطان داخلي..

فمجدوا زلاتي.. وباركوا نزواتي ..

وفتحوا لي أبواب الخطيئة بكلمة سر علنية: 'ابن آدم ضعيف والكمال لله وحده'..

تشبثت بأثواب العفة.. فقالوا قدمت أنوثتي قربانا للقداسة..

هل يهمني حقا أن أمنح تفسيرا للمبدإ؟!!..

هل من الضروري أن أحترف لغة الجسد ليقولوا عني أنثى؟!!

هل من المفروض أن أعبر مختلف الأجساد.. في كل الفصول والتضاريس بأتربتها البيضاء والسوداء ، السمراء والشقراء، والجافة والخصبة لأحصل بجدارة واستحقاق على بطاقة تعريف وطنية تحمل آنتمائي الجنسي، ونشرة جوية لمناخي هل هو حار وساخن أم جاف وبارد..!.
كل الرجال يهتمون بهذه البطاقة..

قد يراوغ ويناور..

قد يدخل إليكِ طارقا باب الأدب، موصدا باب الهرب..

قد يلبسك بشفاه كاذبة، قميصا منسوجا بوهم الزواج ..

ويفك بيد صادقة، سروالا مزرورا بفضيلة الحرمان..

قد يوجعك بتحميلك ذنب جوعه..

في حين أن الذنب إن أشبعته..؟!!
لست أدري أي كهف هاجمني فيه السبات..

لأستيقظ ذات ساعة على مبادئ غيروا لها الأسماء والملامح..

كانت فيما مضى تتميز بالبساطة والوضوح..

فتبرجت بالخلاعة والافتضاح.. وشوهوها، كما شوهوا ذات قرن سمعة حواء وطني..!!!

أثرثر وأثرثر، أقول كلاما أكل عليه الدهر وشرب..والدهر ليس في منأى عن الإصابة بعسر الهضم وعسر الفهم...

مواجهة التيار الزاحف غباء، والاستسلام له بغاء!، فأين المفر؟!!.
تتركين في كل محطة تعبرينها ورقة تعريف مقتضبة من رصاصتين:

" غريبة الأطوار"، "نموذج مستعص على الفهم"..

يختصره ذوي النفس القصير في "معقدة" وذوي النفس الطويل في "رجعية" وذوي المسافات القصيرة "باردة كالثلج"..وتشترك هذه التعريفات لتشوه أنوثة ذنبها الوحيد، أنها لا تدين بالجسد دينا خارج حدود الشرع..

ولا تستسلم لحملة مقولة: "في النهاية سيلتهم الدود جسدك، فهل الدود أفضل مني؟"....

لهؤلاء أقول : "الدود أفضل من أسنان ماسية..تحمل توقيع الخطيئة"...

عين أسردون، بني ملال

من عاش بلا مبدأ، مات بلا شرف

أنيس منصور



- برنامجي الاِنتخابي عن الحب-

لماذا كنوع من المناعة العاطفية لا يضيفون إلى لائحة التلقيحات الطبية، تلقيح (ض.ف.ح)، ضد الفشل في الحب؟!.

وعند كل صدمة أوإحساس بالدمار، يستيقظ جهازنا المناعاتي ويشن حربا ضروسا بمضادات حيوية للنسيان والتجاوز..

وبعدها يخضعوننا للتجنيد الإجباري في الحب في سن مبكرة، بضمانة الفشل كي يختبروا مدى نجاعة تلقيحهم من فشله، لنتخرج من التجنيد برتبة ضابط ممتاز في الاختيار المصيري والحتمي..

فيتم إعفاء أصحاب القلوب الهشة جدا في الدفعة من الخدمة، ويحالوا إلى خيرية الحب كأيتام، لنبحث لهم عن أسر بديلة تعطيهم الحصانة النفسية وقوة الشخصية، كي نتجنب سقوطهم في غياهب الإدمان أو الجنون العاطفي أو الاِنتحار..

في حين الظالمون في الحب، يرحلون مباشرة إلى إصلاحية انحراف القلوب اللئيمة لتقويم السلوك، حتى لا يرتكبوا جرائم الاِنسحاب وجنح هتك المشاعر واغتصاب الأحلام، عمدا مع سبق الإصرار والترصد..

أما المعطوبون بعاهات مستديمة والمصابون بتشوهات من متفجرات الحب المفجوع، فينقلون إلى غرفة النسيان المركزة لإجراء عملية غسيل لباحة الحب، وحقن مركز من الأندروفين لتخفيف وطأة الألم، ويمضون فترة النقاهة في حصص داعمة من الصبر والنضج للتأهيل النفسي الجيد.

هكذا، ربما نحافظ على ماتبقى من إنسانيتنا ولا ندمر بعضنا حبا..

هذا برنامجي الاِنتخابي عن الحب لإنقاذ بشريتنا من الإرهاب النفسي والعاطفي، وسأقدمه كمقترح ليناقش في البرلمان العشقي..

اِنتخبوني..!!، هذا إن لم يتم توقيفي بتهمة الشروع في حملة اِنتخابية مبكرة !!.



- ثرثرة فوق الغضب-

سهرت ليال طويلة أقرأ الشعر والروايات، كي أحبك برومانسية أكثر...

ضبطت المتطابقات الهامة ومجموعات الأعداد بكل أنواعها والمتراجحات والحدوديات والمضاعفات، كي أعرف قواعد حساب خارج مجهولك..

قرأت المخطوطات التاريخية والكتابات المسمارية والهيروغليفية و السومارية والفرعونية وتفيناغ.. كي أفك رموز غموضك..

بحثت في أمهات الكتب عن الزمن الأنتربولوجي لعشيرتك، كي أفهم جيناتك وأتفهم غضبك وأدرس الخط الزمني لعصبيتك...

طالعت كل النشرات المناخية، كي أتوقع عواصفك القادمة وأستعد لها...

شرحت طبقاتك الجيولوجية ودرست صفائحك التكتونية، كي أتكهن متى أرتج بزلزالك ومتى ينفجر في شراييني بركانك...

وحللت كل الفرق الرياضية وحفظت أسماء لاعبيك المفضلين بنقط ضعفهم وقوتهم، وصرت أنافس المدرب "حسن شحاته" في وضع الخطط..

وأضاهي "عصام الشوالي" في التعليق.. وأقارع "خالد ياسين" في التحليل الرياضي..

كي تبقى معي، ولا تغادرني عند كل مباراة إلى رفاقك في المقهى..

أمضيت كل سنواتي أفصل فساتيني على ذوقك.. وأشذب ضفائري على قامتك..

قلت أني هيأت نفسي وفكري كي أناسبك.. كي أشبعك..

كي أملأ كل زوايا مجال رؤيتك.. كي تجد في خريطتي كل النساء..

وأتوهك في دروبي، ببوصلة تحمل حدودي و وجهتي فقط..

لكنك خذلتني..

فقد خدعني ذوقك الذي يلهث وراء فارغات الرؤوس، الضاحكات بسخف والعاريات من الفضيلة، والكاسيات بالميوعة والخلاعة..

لكن لا تجزع..

سأعثر على الأفضل منك..

لكنك لن تعثر على فكر يماثلني..أو عنفوان يضاهيني..

تذكر أنك ذات يوم منحت كل شيء..

وأنت تخليت عن كل شيء.. لتطارد لا شيء..

أحقا تأخذ مني عمري في حبك وتستقيل...؟!.

أحقا تبدل وفائي وعفتي بصهوة امتطاها قبلك كل الفرسان؟!..

أحقا تمزق أشعاري التي تقطر حبا فيك، لتضم منديلا ورقيا ذابلا بأريج اصطناعي؟!.

أحقا ما همك دمعي المفجوع فيك.. !!،ولا ثقتي التي زرعتها كلها في إخلاصك..!!

ولا الألم الجاثم على صدري الذي خنق إيماني بحبك لي..!!

ما همتك الحياة التي تنسحب من أناملي وأنت مغادر غير مبال..!!

ما همك قرائي لأني بحبك وأنفاسك ..أكتب أشعاري..!!

ما همك إلا وهم الرذيلة الذي مع الأيام سيزول..!!

وبكل وقاحة تطاولت لانتقاد بساطتي، وبنفس تلك البساطة أسمعتك:
"لا تنتقد خجلي الشديد..فإنني بسيطة جدا وأنت خبير"..
بصوت "نجاة الصغيرة"، أجبت غلظتك وسطوتك الذكورية لطمسي..

بعد أن امتلكتني شرعا..
شذبت زهوري البرية..
قلمت اندفاعي..
غلفت دماغي كي تفكر وتقرر أنت مكاني..
رتبت خصلاتي النافرة..

ألبست عيوني الصارخة بالحب والحياة نظارات سوداء..

ألجمت خطواتي التي تقفز ابتهاجا..

حقنت شفاهي بالجليد كي تجمد ويغادرها صخب التعابير..

امتهنتني..

غربتني عن نفسي وعن صرخة البراري داخلي..

لأجدني مسجونة وعالقة بالوفاء لوعدي لك.. ملعونة أنا بوفائي.. علي الصب والتب..!.

يوم وعدتك بأني سأبقى معك إلى الأبد.. وأني سأحبك إلى الأبد..

علقت نفسي بوعد إعْوَج فيك وانكسر، وقيدت حياتي بإيماني: أن وعد الحر دين عليه، لأغرق في مديونية على حافة العجز، لكن تلك المقولة مبتورة..

كان عليهم أن يضيفوا: أن وعد الحر دين عليه، لغير الأنذال والخسيسين والخونة.. فالوفاء لهم استغفال واستغلال..

لكني اليوم وإن كنت مغمورة، أضفتها.. لنأ ُلزم نفسي.. لا بها ولا بك.!!.

وسأُسلم نفسي للعبودية – لو اقتضى الحال- كي أفسخ وعدي المعلق بك..

الأبد تحدد معك ..وصار اليوم آخر أيامي فيك..

لن تكبح جماح البدوية داخلي..لن تكبل أقدامي بكعب عال.. لن تخنق زئيري في البراري..

أنا التي تسلقت الأشجار حافية القدمين والناصية..

وجنيت التين بيدي.. وأكلته وهو مبلل بالمطر..

أنا التي دخلت مغارة "هرقل" المظلمة، وخرجت منها بحلة سوداء ملفوفة بخيوط العنكبوت، لم تطأها أقدام غيري..

حرست الأغنام وربيت الأيتام منها.. وجلبت الماء من البئر على ظهر يدي..

وطليت جدائلي بالحناء.. وزرعت العدس وأزلت الشوائب من مساربه..

كيف تحلم بترويضي..؟.

لن تجد لي على الواجهات - بماركاتها العالمية- فستانا بمقاييسي الشاسعة..

ولن تجد تنورة تطارد مساحات خطواتي الفرسخية..

قدماي اعتادتا مطاردة الكرة بعشق نابض لم ينته يوما..

ويداي طارتا في الفضاء مع جسدي، ليلحقا بكرة طائرة أو بمضرب..

ذكائي لن تسجنه في مطاردة جنون الموضة وآخر صيحات الأظافر والضفائر..

كيف لمن احتلت رقعة الشطرنج بجيوشها؟.

وطاردت جيشا غازيا بملكته، لتسقط ملكه في الأسر، أن تسجنها أنت ببساطة دون أن تشن عليك حربا ضروسا، وتهلكك بلا حصان طروادة!.

صحيح أنني بسيطة في أنوثتي.. بسيطة في تمردي..بسيطة في غزلي ووفائي..

لكني سيدي قاهرة لمن يستصغرني..

قاهرة لمن يسخر من بداوتي وبساطتي..

قاهرة لمن يتجرأ على دوسي..

قاهرة لمن يشبه الرجال ويتطاول على هيبتي..

صحيح أنك خبير... صحيح أنك ثنيت هامات النساء قبلي..

صحيح في الحب خبير..؟!

تبجح كما تشاء..لكن دعني أخبرك.. أنك خبير في الفسق فقط..!!

وما حمولتك إلا عارك.. وما غزواتك إلا فضائحك.. وما نزواتك الماضية إلا لائحة من خطايا..!!.

وما تجربتك وخبرتك اللتان تتجاهر بهما أمام رفاقك، إلا ذنوبا وكبائرا تستوجبان منك التوبة وطلب المغفرة..

فدعني سيدي لبساطتي ، لأحب من يشبهني بساطة ووفاءا.

ما يوجعني أكثر.. أنك طرقت باب قلبي في وقت متأخر من عمرك..

رممت جدارك المتصدع، ومنحتك أملا رفعك من حضيض اليأس والاِنـهيار لتعلو وتسمو..

أسندت قامتك الآيلة للسقوط..

وأغلقت الفجوات المعتلة في قلبك..

فشتمت صنيعي، وشوهت شهامتي معك..

لتقدم لي حطام وبقايا ما تركته فيك كل النساء..

شفيت لتتجبر وتطغى، وتدوسني كأني لم أكن في برج عاجي قبلك..

فـأصبحت أنا أفدح أخطائك وزلاتك، ولولا خجلك من المنطق، لا سميت فشلك قبل أن تلقاني باسمي!!.

لا شيء يضاهي جحود من قدمت له أحلامك وعمرك، ليدوسك ببساطة وكأنه يحتسي فنجان نزوة باردة..!

على جسر هواك المخادع الشاهق...

اِحتسيت كأس الدمار الذي جنيته من اكتساحك المستبد ليوم ميلادي...

مزقتُ شهادتي لتنساني...

تجردتُ من اسمي لأتوه بين الألقاب..

غيرتُ جنسيتي، كي لا تجد لي وطنا...

بعت لون شعري، كي لا أذكر لونه لأنك تحبه...

استجديتك أن تطلق سراح ذاكرتي، وتشملني بعفو نسيانك..

فإن لم تفعل، سأرفعِ عليك دعوة للاِنشقاق في محكمة العشق دون اِتفاق أو إنفاق..!.

عندما نباع في سوق النخاسة العشقية..لا يصبح شاغلنا البكاء على الأطلال وتمجيد بائعنا بمثاليته الكاذبة، بقدر ما يهمنا كيف ستُعتق رقابنا.. ونتحرر من عبودية الحب لنعود أحرارا كما كنا...

قدمت لي عهودا كانت من نسج خداعك وخبثك..

اِستغفلت حبي "لنزار" والطربيات، فأغريتني ب"مدرسة الحب" و"من أجل عينيك" لتسحب مني طوق نجاة الشك ب"أحبيني بلا عقد"، لتغرقني بثقتي العمياء فيك ب"أشهد ألا امرأة"..

للنزاهة كان عليك أن تصفعني" بيضرب الحب شو بيذل" وتفتح عيوني ب"قصة الأمس" وتوقظني ب"رسالة من امرأة حاقدة"..وتحقن وريدي بمصل "بعد الحب" ..

تخلت اللهفة عني، وأضعت وقتا ناقصا من عمري.. وراء ركض مسعور خلف وهم أطبق الخناق على قلبي، وجعلني مشدودة الوفاء لرجل يهوى الخيانة والتطاول على كل تاء تأنيث تمشي على قدمين..

رفعتني إلى أعلى الأماني التي حلقت فيها بنشوة عدم تصديق، أني أخيرا، سأخلد في السعادة بتوقيعي لعقد ملكيتك.. لتتركني أهوي في التعاسة دون مظلة أو توقع مسبق للسقوط.. فكان اصطدامي دمارا ما استطعت لملمته بما تبقى لي من كبرياء، لأزحف باحتضار إلى ركن مظلم أختفي فيه من سؤال الناس وفضولهم، وكأنني ارتكبت جريمة عشق استحققت بها النفي الجائر في حق مشاعري..

جعلتك يقظتي ولا وعيي، حفظت لك كل ذاكرتي وكنت في عيني كل الرجال، وفي حضوري تدوس على احترام أنوثتي وثقتي بالنظر إلى كل النساء...

سئمت مراقبة عيونك اللعوبة، وهي تمشط القامات والسيقان والخلفيات وتمنحها درجة تصنيف شبقية خفية، ألمح تداعياتها في شرودك واصطناعك الاهتمام بما أقول، وتكرارك السخيف للازمة غبية تستتر بها تسكعك المنحل في مخيلتك..

عيناك تصولان وتجولان من هضبة إلى منحدر، وشفاهك الكاذبة تردد كلمة فارغة تسميها احترام...

"احترام" طبخ بالسب والشتم، ونكه بملوحة زائدة من الصفعات على شكل لكمة وركلة ورش بلعابك بصقا على الوجه.. ما همك.. كأني ند شرس على حلبة ملاكمة.. وجب عليك سحقه للفوز بالحزام الأغلى.

شوهت ذكرى شهامة رجولة باذخة في مخيلتي..

أسكنت في أحشائي ثورة سخط، لتتركني لا أكف عن الثرثرة فيك فوق الغضب مع الكراهية والغيظ والشماتة..

لو كان الأمر غير متعلق بخوفي من الله وغضبه واحترامي لذاتي، لو كان الأمر متعلقا بك وحدك، لآتخذت كل رجال الأرض خلانا..!.

لست من الأخلاق والاحترام في شيء، وأنت تسحب خاتمي الشرعي من أصبعك وتدسه في جيبك، لتعيش مراهقة مزرية مثيرة للشفقة ..

تركض وراء المراهقات والكاذبات المتزوجات المتنكرات للشريك مثلك، لتقدم نفسك من جديد، وأنت على باب الكهولة وعتبة نهاية شبابك..

تقوم بذلك دوسا على تقديرك واحترامك لنفسك واستهتارك بغضب الله ونقمته..

لست من الرجولة في شيء حتى وأنت تجاهر بزواجك، فتروي قصصا غير حقيقية عني: باردة، ملعونة، طريحة الفراش، أنتظر الموت..وأنك ستجتهد للعثور على فجوة قانونية في مدونة الأسرة كي تجعلها زوجة ثانية برصيد مالي تحت الصفر..!.

أوتتمادى بأنك على وشك توقيع أوراق الطلاق أو أنك مطلق أصلا أو أرمل..

لا عجب أن تقتلني..!، فأنا ميتة فعلا.. بخجلي بك..!!، لك أن تقول ما تشاء..

فالرجل الذي يمشي في درب الخيانة بخطوات تقطر بالرذيلة، لا يفعل ذلك إلا بعد أن يرتدي خفي الكذب، وهو مدجج بمئات من القصص من نسج نزواته وعدم إخلاصه.. ليوقع مزيدا من الضحايا ويجرهن خلفه بحبل الأماني المهترئ..

لكن عندما تفضح نفسك وتقرر سلك طريق الخيانة المكشوفة، لا تجر معك إلا النساء اليائسات البائسات بلا احترام مثلك ولا كرامة، لتسحبهن إلى سريرك الملغوم بالكذب والزنا.. والمحاط بضحكات الشياطين..

تأخذ أرقام كل خلفية مؤنثة، تذخرها لأيام سفري وغيابي.. كي تمارس معها الشذوذ الهاتفي.. وتروي لها كبت عجزك المستتر.. الذي لا يُحكى..

صرت عاري الذي يثقل ظهري ويلطخ سمعتي في الاِختيار..

أخجل من تأبط ذراعك وإعلانك رفيق دربي..

كل أنثى تصادفنا وتنظر إلينا، أشك في أنها هاجعة رقما في وريقاتك التي تخفيها عني، والتي تزورها سرا كلما غفلت عنك..

لن يشفي غليلي فيك إلا النساء اللاتي سيأتين بعدي..

فبعض النساء باذخات القدوم، وإن كن فارغات الرؤوس، ينتقمن لسابقاتهن دون أن يدرين، ودون أن يخططن لذلك، فكل امرأة سم زعاف لأخرى..

ما ينقصنا هو التحالف النسوي التضامني في وجه الخونة، لعقابهم على الاستهتار بشموخ الأنوثة، وإعادة مهينة لعصر الحريم..!!

وبغير قصد، يتركن الرجل في حسرة على حصاده النسوي الفاحش الذي استنزفه بتبذير ذكوري لآخر قطرة..

وبرغم أنف هذا الفشل التي ينخر جوفه، يكابر الرجل ويمج سيجارته التي تقتله

-كما تفعل الأنثى جواره والتي أفرغت مجده وجمدت غزواته وفتوحاته النسائية- فينفض رمادها على تاريخه، وهو يدعي بفرحة لا تصل إلى قلبه أو إلى عينيه، أن القادم دوما أفضل..

لكن مهلك أيها المهلك لنفسه...!!

أتعتقد أني سأمنحك عمري بكاءا.؟، فعلا غبي!!.

ماعدت بالغة الكرم كما كنت..

اليوم أنا بالغة الشح ..

لن أنفق عمري لتمجيد شبح رجل.. خسرت على ألمك يوما وليلة..

عذبت فيهما نفسي شر تعذيب..

عدت لكتاباتي عنك..لأبكي نفسي بحرقة أكبر..

عدت لرسائلك.. لأدرك كم هي كاذبة مثلك، فأحرقتها كأني أحرقك، لأترك للريح حرية إخفاء دمارك ورمادك إلى الأبد..

أمسكت صورك ودسستها في كيس أسود لايرى..

لأتخلى عنها في سلة قمامة نشيطة بلا عنوان، حتى لا يرجعني الشوق للبحث عن أشلائك ولصقك بوجع الحنين..

كنت في قمة المازوشية.. وأنا أنساك..

ونجحت..

استأصلتك مني كورم خبيث، دون تحذير من تداعيات انعدام خبرتي أو تخدير أو أدوية أو تعقيم..

وأجريت عملية إجهاض ناجحة لشغاف قلبي، فتقيأك بمخاض عسير.

طبعا تستغرب كيف لمهووسة بالأمومة مثلي، أن تجهضك جنينا مكتملا من قلبها؟..

كما أدرت ظهرك لوفائي، فتوقع الأسوأ وأنا أستمتع بنسيانك!.

بغيابك تعتقد أنك ستقتلني؟.

فعلا ستفعل..!.

لكنك لا تعرف قابليتي المدمرة للقتال..

فأنا العنقاء.. أنبعث من رمادي أقوى بعد الموت والتحول إلى رماد!.

غيابك لن يزيدني إلا جبروتا وبطشا، والقلوب ستتهاوى تباعا تحت أقدامي بعدك..

قاموسي يا رفيقي لا يحتوي على كلمة: لن أعيش بعدك!.

بل سأحيا أفضل دونك..

سأطلق العنان لضحكتي ببدويتها لتعبر عن فرحي بالحياة، لأني كنت أكبحها لتناسب مقاس ابتساماتك المصطنعة المدروسة والمحسوبة..

اليوم سأتخلص من ألوان قزح التي أجبرتني على ارتدائها في وجهي، لأحضر بها حفلاتك الليلية الماجنة..

سأقتلع ذاك الكعب الشاهق..الذي يجعلني كالسنبلة الفارغة المتمايلة بسخف..

سأرتدي ما خف وستر.. لأقفز في صخور الشعاب كيف أشاء..

وسأقلد هديل الحمام ونقيق الضفادع، بل حتى نهيق الحمير.. إن شاء جنوني!.

فلا تعتقد يا صغيري أني بغيابك سوف أموت..!.

عزيزاتي ..

قبل أن تتورطي في حبه ..

يفتنك..

يتفنن في جذبك بوفاء منقطع النظير..

يجعلك تعتقدين بغسل دماغ ناجح أنك أحلى النساء..!!

وقبلك لم يعرف أنوثة بحجمك... وبعدك انتهى عصر الحريم من سيرته..

فيعلنك المكتسحة الأولى والأخيرة لقلعته..

وعندما يتمكن منك..

ويمتلك شرعا حق فتوحاتك..

يسمح لك بالتجول في قلعته وكأنك ملكة..

تتبخترين بالزي الملكي الذي فصله لأجلك، تحملين أزياءك التي قررت خفية أن تبهريه بها كل مساء..

تفتحين الدولاب كي ترتبي مفاجآتك له، لتغرقي بالأكوام المتساقطة للملابس المستعملة لنساء قبلك..!!.

والتي في خضم لهفة امتلاكك، نسي إفراغها في قبوه السري ذي السوابق في الدفن..

ترتعبين..

يتوقف نظرك عن تكبير قامته..

تصغر عدستك..

تصغر قامته..

تتعرى رجولته..

تشدين ثوبك برعب هارب..

تركضين..

تتعثرين..

تفتحين بابا..

تجدين جسدا معطوبا لأنثى..

تفرين لغيره..

تجدين أخرى تمسك بقلبها المحتضر، وعيناها الجاحظتين بالموت تناشدانك الفرار والنجاة، لتحذير اللاحقات..

حتى النوافذ تطل منها ضحاياه..سابقاتك..

تصرخين..

تشدين ماتبقى منك.. وتطلقين قلبك للريح..

مدمرة..لأنه بتفكيره في أخرى.. يوقف عقارب سعادتك للأبد..

فإما أن تمتلكي الشجاعة القاهرة بالإِنسحاب لأجل نفسك، أو تكتمين خيبتك لأجل الآخرين..

وتبتلعينها بجرعة مكابرة، لأنك أجبن من أن تواجهي سم الآخرين بقولهم:

أنك عدت مطلقة في الأسبوع الأول لزواجك..

ومن أجل غلق الأفواه الأفعوانية، تغلقين عليك بابك مع ثعبانك الخائن، الذي امتلك شرعية إذلالك مع بقايا كل النساء..

والأسوأ، بعد أن يتفنن في إذلالك ويكسر شموخك..

يغادرك.. بعد منحه كل شيء من حرمانك..

ما فعله نتيجة حتمية لعطائك اللا محدود..

وكما في الرماية تعلمه ليصيبك، في الحب أحييته ليقتلك..!!

أهديته ثوبا أبيضا ليفصل لك فساتين البراءة، فأخرج منه كفنا يفيض عليك ويزيد.

أهديته باقة ورد لتوزعينها على صديقاتك كتفاؤل بالحب..

وشؤما، أخذها ليؤثث بها قبرك بعد دفنك..!!

لست غير مكتملة الأنوثة كما حرص على إخبارك وتحسيسك..

أكيد أنت مكتملة الشهامة ..

فقط وأنت تكرمين..وقعت سهوا في قبضة لئيم..

شتم صنيعك..

وكشر في وجهك أنيابا سهرت ليال على تلميعها..

حرمت نفسك.. ليكبر ويتوسع.. ويبحث عن حدود غيرك..

جوعه ما كان لجودك أن يشبعه، وفراغه ما كان لبذخك أن يملأه...

ملعون هو بوفائك...

مكبل الركب بكرمك..

موثق اللسان بحبك...

سيركب الهجر ويغيب..

لكن بركة العشق الحلال غادرته إلى الأبد..

دوره الثانوي اِنتهى..

أنت البطلة الآن..

وحدك في مجابهة الحنين..

وحدك في حفل توقيع تأبينه..

وحدك تنظفين فوضى رحيله..

تخلصي من أغراضه في بوابات بيع الأثاث المستعمل، ولا تخبريهم أنها لخائن، سيعطونك ثمنا بخسا كصاحبها!.

اِزدادي ثراءا معنويا على أطلاله، وأخرجيها في مزاد علني مجاني، دمري تاريخه وتحفه النسائية السابقة، وقدميها هبة عشقية للغجر.. لأنهم زاهدون في حب الأشياء..

أغرقيه في النسيان..

أحرقي جثة أوراقه المكدسة في قبوك، وتدفئي بها في برد الشتاء القارس..

ودعي شمس التفاؤل تدخل إلى أركانك.. لتزيل البرودة ورائحة العفن واليأس..

اِسمحي للنسيم العليل أن يداعب مخيلتك وخصلاتك..

فمؤكد أنه ذات صباح ..ستحمل إليك بشائر الربيع والحب.

سيدي، لا تطالب امرأة حاضرك بمصافحة أطلال ماضيك..

قبل أن تبدأ، تأكد أنك تخلصت من كل نسائك السابقات وتصالحت مع ماضيك ونفسك، وصرت من النضج بما يكفي لتكون مسؤولا في الاختيار وتتحمل نتائجه مهما كانت.

أتعيش حياتك بشوطيها الأبيض والأسود، وتفكر بها فقط في الوقت بدل الضائع؟!.

بالله عليك، تقول إنك تذوب فيها شوقا.. وفي غيابها تزور قامات وعيون كل النساء؟.

كيف تخبرها أن قلبك مليء عن آخره بحبها، ونوافذك تطل بغيرها؟.

هي أحبتك دون كل الرجال، وأنت أحببتها مع كل الإناث؟..

الرجل الفاشل فقط من يتزوج أنثى لطيفة وهاجة، ليحيلها إلى كتلة جليد مثلجة بأنياب مسعورة، كل حرارة العالم لن تذيب ثلجها المتساقط بنكد ونرفزة، وكل لقاحات "باستور" لن تنفع مع حالتها المتقدمة والميؤوسة بك.

تخونها في جميع المدن.. وعبر كل الأسلاك الهاتفية.. وفي كل قهوة سوداء..

وتعود مساءا، وإشباع الخطيئة في عينيك..

تهتف لها بشفاهك الباردة..أكذوبة عشقك المكتوبة بتفاصيل وتضاريس ومناخ كل خياناتك وجرائمك العشقية..

ما أتعس أن تستيقظي ذات حقيقة.. على وجع اكتشاف أنك على ضفة الوفاء وحدك!!.

ما أتعس أن تدسي يدك في جيب شريكك.. لتجدي أسماء كل الخيبات والخيانات!!

ما أبشع أن تري مثاليته الرجولية تسقط من عينيك.. ليصبح مجرد ذكر..!!

ما أفظع أن يوقظ شيطان الإنتقام داخلك كي تخونيه..!!

هو وجع.. هو فشل.. وصفعات أخرى لا تحكى..

إلى كل زوجة خدعت وخذلت، لا تستسلمي لتداعيات الخيانة في نفسك..

حاربي لإصلاحه وترميم تصدعه النفسي، تشبثي بالجانب المشرق في زوجك فالرجال في الأنانية وحب أنفسهم سواء..

حاربي خطاياه بكل ما أوتيت من قوة..

حافظي على تماسك بيتك وزواجك..

كوني زوجة صالحة حصينة، تمارس حقها في التحصين بكل حزم وقوة..

قوي عزيمتك بالاشتغال على نفسك وتنمية مداركك ولا تجعليه محورك الوحيد، اِجعلي لك محورا يخصك..طالعي كتبا تساعدك على فهم ذاتك ومحيطك ..ابحثي عن هوايات أو حرفة.

أيقظي حلما تخليت عنه يوما..لتعيشي له..

لا تستسلمي للبكاء وندب حظك، فالتغيير يبدأ بخطوة وابتسامة واقتناع وثقة.

وأنت تسهرين على تطوير ذاتك، برمجي نفسك: أنك لا تفعلين ذلك من أجل رجل.. بل من أجلك أنت..من أجل اعتدادك الشخصي.. لأنك وحدك تستحقين أن تكوني أفضل..





- مغلق لأني لست مغفلة- 

عند كل نهاية حديث لي معك، أقفل الهاتف..

وأقفل معه أذناي عن باقي الأصوات التي تصدرها الحياة.. ولا أسمع إلا الإعادة الباطنية البطيئة لهمساتك.. التي أعيد كل مقطع منها آلاف المرات..

فأسبح وأبتسم وحدي، وأرسم لك أحلاما نحن بطلاها، أنجب لك أولادا افتراضيين وآخذ لقبك لأسجلهم في حالة أبوة استباقية، وأنصبني ملكة لقلبك وبيتك..

أتكور على نفسي.. وكأني أضم وحدتي دفئا بك..

وحتى لا يكشف أمري..

أهجع باكرا إلى وسادتي، التي تضم صورتك تحتها..

ليطول سهري معك.. ولا يقاطع شريط إعادتي صوت..

ومع أني أمل الإعادة المتكررة للمقطع الواحد في أغاني أم كلثوم -على عشقي لها-، إلا أنه لم يسبق أن تسربت إلي رائحة الضجر منك قط!.

بل عند كل إعادة.. أقع في حبك من جديد.. بعنف وشغف لا متناهيين..

ويهتف لي الحب: هيا..ألديك مزيد؟ هلمي.. لن أجد عاشقة بمثل سخائك غير المحسوب وغير المسبوق!!.

أصبحت أحفظ فواصل حبالك الصوتية..

وأحسب بأنفاسي الحد الأقصى لامتدادها والحد الأدنى لهمسها، والحد الخارق لصعودها الناري بالغضب، لتهوي كشهب قوسقزحية الألوان على مدينتي مهجورة الفرح والحب والتورد منذ زمن..

ولهذا ارتدت أجمل حلل طبيعتها الملونة، لتثير إعجابك وتغريك بالبقاء.. دون أي نية - ولو تفكيرا- في المغادرة..

أرجوك لا تحاول تركي.. حتى لا تنهار حصوني وينقلب علي جيشي التواق للحب، لأصبح دونك ملكة مخلوعة بلا عرش في مملكة أحلامي معك!!.

صرت أعرف متى يختلط الريح بفجوات أسنانك لتصل إلى مخارجك، فتخرج الحروف لاهثة من تأرجحها الخرافي على حبالك..

لأتعلق أنا بحبالك الخارجية، وتسحبني خلفك كالبلهاء المسلوبة القلب والإرادة والمصير..

كلما صادفت صوتا يشبهك.. تسمر في الصوت والنبض..لأستسلم للخذر..

كل سيالاتي العصبية تصبح في إجازة مفتوحة مدفوعة الأجر..

إلا المكبلة بك، مع الحاسة التي منحتها اسمك في باحتي والتي سجلتها تحفيظا في ملكيتك.. هما في حالة اِستنفار عشقي 24 ساعة وطيلة أيام العمر!!.

لذلك نحن النساء نرتمي بكل خصلاتنا الثائرة النافرة في أحضان الحب، دون أن نحمل مشبكا يجمع شعرنا المبعثر.. الذي يحول دون رؤية واضحة للأحمق الذي اخترناه، ولا ننتبه إلا بعد الوقوع في حادثة عشق نتكبد فيها خسائر فادحة، تأتي على رونق البشرة وبريق الابتسامة وبهجة الألوان..

فندفع ذعيرة حداد قاتم الحزن.. نرتدي فيه نظارات سوداء ترى القادم كالحا كئيبا..

لأعلم بعد انتهاء عقد عمله، أن الأحمق الذي اختارني ممثل مسرحي!.

وكنت مجرد حصة تدريبية ليلية مجانية.. ليتألق بها على الركح!!.

فلا تكوني مثلي مجنونة عاطلة بلا أجر!!.

لذلك عزيزتي حواء، كلما أنهيت مكالمة هاتفية.. أغلقي كل باحاتك..

وعلقي عليها لافتة "مغلق لأني لست مغفلة"!!.

واتركي كل التفسيرات الرومانسية للحمقاوات المغفلات مثلي، اللاتي يجعلن من نظرة عادية قصيدة عشق.. ومن ابتسامة مجاملة مجلد دوار.. ومن لمسة مصافحة ليلة دخلة..

كوني واقعية وأحبي بعقل وليس بقلب.

لا تسمحي للفراغ أن يسكنك فتدخلي في متاهات وأوهام يصعب الخروج منها..

لا تسمحي للتفسيرات المبالغ فيها بالانفراد برجاحة عقلك، لتخدرك وتسخر من مقدرتك كأنثى.

وجدة

إن مشكلتك ليست سنواتك التي ضاعت، ولكن سنواتك
القادمة التي ستضيع حتما، إذا واجهت الدنيا بنفس العقلية
مصطفى محمود










- منتظرة على شاطئ النسيان-

ولأني أعرفك عاشقا كبيرا للبحر والسفر في البواخر..

ولأنك تهوى الأمواج وتهوى الصعاب، تحب أن تبلل أقدامك بدموعي، وتخضب خفيك بحناء دمي .. وأنت مغادر..

وكالحمقاء أنا.. أدمنت المظلات مع كراسي الاِنتظار، أراقب السفن القادمة علك تقبل فيها..

كل شراع أبيض وإن كان زبدا لموج أو جناحا لنورس.. اِعتقدته أملا أنت!!.

كل موجة قادمة.. تعرف عبير شجني وشذو حنيني..

أمزق اندفاعها بتنهداتي.. لتنكسر على قدمي باكية لبكائي..

أسألها بشوق منتظرة طال بها الحنين:

" على صهوة أية موجة قادم؟"..

اليوم ما عدت أسألها ..

صارت تبادرني مدا:

"أترى غائبك عاد؟"..

وما إن تلمح شحوبي ودموعي حتى تطأطئ رأسها، وتعود جزرا من حيث جاءت.

تجاوزت الحد الجمالي للسمرة وأنا أنتظرك..

ما نفعني الأمل الذي أحمله كمناعة ضد تعرية الانتظار..

ولا نفعتني مستحضرات التجميل الحمائية التي غلفت بها صبري..

توغلت الأشعة فوق الشوق إلى كبدي ففتتته، وأصابت مشاعري بالشيخوخة المبكرة.. وأتلفت كولاجين تحملي وأملي..

تسربت الأشعة تحت تذكرك إلى دماغي، لتشل إحساسي بكل الوجوه.. إلا وجهك..

أصبحت صريعة سرطان انتظارك أعاني الجفاف والإجتفاف..

لو كنت على نفس موج الحنين الموجع، لاخترت العودة على ظهر دلفين...

أو حتى بين فكي قرش..!!.

لكنك تركتني منتظرة على شاطئ النسيان..

ألف الزوار تواجدي..

وألفوا عني أغنيات السذاجة والوفاء الغبي..

بل اعتقدني بعضهم قطعة بحرية تؤثث شاطئهم، وآخرون اعتبروني حورية ممسوخة.. لفظت على الشط ملعونة لرغبة ممنوعة..!!.

منحتك عمرا ناعما ثريا تجعدت فيه بعوامل التعرية، كنت جلمودا صلدا عرضني غيابك لتجوية شرسة، تفتتت معها معالمي صحبة كبريائي الذي تفكك وتحلل على شطآنك الجاحدة..

بكل إرادتي.. تآكلني الحنين الفقير الذي زرعته في أحشائي، دمر خصوبتي بحركات بعدك عني وجاذبيتك الملعونة التي ألصقتني بعقم على رمال شطك بأمل حمل كاذب، تركتني أرتديه كبزة سباحة مهترئة، لا تنفع لا للسباحة ولا تنقذ من الغرق حتى..!!

كل العشاق مروا من جسر انتظاري..

كل أحبتهم عادوا..

إلا أنت..لم تعد..!!.

تركتني مشدودة بحبل وعدك العرقوبي بالعودة، أستعرض قلبي الذي يجيد انتظارك بألم وأمل ممتعين..

أتراني غفرت لك ما أسكنه فيا شوق غيابك من سقم وشحوب، وتوقيف مفتوح الأجل لحياتي..!!؟.

أتراني مغفلة وأنا أنفق عليك سنواتي انتظارا!!؟.

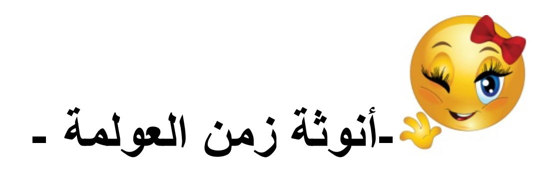
إلى كل منتظرة.. لا توقفي حياتك وتجمديها..

الوفاء للحب جميل.. ولكن الوفاء لنفسك أجمل..

عيشي حياتك.. ولا تسمحي للإنتظار أن يوقفها عند عتبة استجداء قدوم أحد أو مجهول.. لنا واجبات دينية، إنسانية وأخلاقية لا يجب الغفلة عنها..

استمري ودعي الحياة تستمر معك.





-أنوثة زمن العولمة -

الذكاء في الحب ألا تحب بكليتك.. بل اترك فسحة للصدمة، ومسافة أمان كافية تخفف بها وجع الاصطدام والخذلان..

لست ضد الحب بل أشجعه حلالا ، وأكتب عنه.. بل الأسوأ.. أعيشه..!!.

الأسلم في الحب أن تؤمن بقوة: أن الذي أحببته ليس ملاكا..

سيخطئ في حقك عمدا..

ويجرحك دمعا..

وسيحرجك علنا..

ويصفعك سرا..

وسيدوسك سهوا..

ويضنيك سهرا..

وسيمزقك عبثا..

ويغتالك غيرة..

وفي الأخير.. سيضمك إليه شوقا..

ويغرسك من جديد في الضلع الأعوج الذي خرجت منه أمنا حواء..

وهنا فقط يظهر استحقاقك لحبه.. هل ستستكنين لضمته؟!.

أم تثور قراءاتك الأنثوية الثورية عن المساواة..

وتتخلي عن مسكنك..عن ضلعك الأعوج..

لتتركيه أعرج دونك، وتصبحي في تاريخه عادية ككل النساء العجلى ذوات النفس القصير، والمستعدات للتغيير كما يغيرن "اللوك" الذي يحكمه جنون الموضة المسعورة أو هوائية مزاجهن غير الثابتة!!.

لذلك، إن سكنتِ ضلعا أعوجا.. إياك أن تتخلي عنه طوعا.. إلا إن نزعك عنه قسرا، أو أشهر في وجه تضحيتك ورقة طرد تعسفية..

لكن، هناك نوع من النساء يدمن الغباء في عشقه للرجل المنتمي لفصيلة الرحل والمرتحلين والمغادرين، دون ضمير أو ذنب أو مسؤولية.. غير مبالين لحجم الدمار المتروك خلفهم!!.

تعرف أنه سيقتلها هجرا، ومع ذلك بكل الكرم الساذج.. تمنحه حصاد عمرها من الحب والترقب، وتقفل كل منافذها وتتخلى عن كل حياتها وأحلامها بعد أن تصل شطه، وتمحي كل صديقاتها وقبيلتها من مفكرتها وهاتفها وقلبها وانشغالاتها.. ليصبح هو وحده بدايتها ونهايتها!!.

تركن في ظل الاِنتظار، تنتظر دورية استطلاع منه، ليتفقد هل بقيت قيد الحياة وقيد الحب دونه!.؟

كم تستفزني من تسلم قلبها طواعية للهو المجهول، الذي يعيش حياته طولا وعرضا، وهي بقلة انشغال ووفرة فراغ.. تتلحف عتبته.. ليعيد إليها ما قدمته بسخاء وغباء..

الرجل يتعلم حبك من حبك لنفسك..

إن لمح منك إهمالا لذاتك وتقصيرا في الإحتفاء والإعتناء والتفاخر بها..داسك..!!

وسيمتهنك بعد أن يستهلك الأبهى فيك..

لا تبالغي في حبه..

لا تبالغي في تنازلك..

لا تبالغي في إرضائه..

دعيه يتودد إلى أنوثتك، ويستجدي الوقت والحب معك.. لتستمر حاجته إليك..

كوني أنثى باعتداد..

وأحبيه باعتداد..

وحتى إن تركك..

ستقفين باعتداد..!!.

المؤسف له اليوم، أن أنوثة زمن العولمة تميعت..

تعرض نفسها بدلال على المتزوج والأرمل والمشرد و"المشرمل"، بل وحتى الميت سريريا..!!.

ماعادت تختار..!.

ماعادت تحتار..!.

ماعادت لها مؤهلات -أصلا- تؤهلها للحيرة والإختيار..لها جسد أعلنت كل حدوده بشفافية تحسدها عليها إِنتخاباتنا..

وبكل الكرم.. قدمت تصريحا طوعيا لممتلكاتها، لا يحتاج فيه الرجل إلى لهفة غرفة النوم الشرعية، ليكون أول مكتشف رسمي لقارتها المكشوفة والمحددة المعالم لآخرين قبله..!!

كسرونا عندما جعلوا نموذج الأنوثة في قالب السخافة الهيفاء والميوعة الوقحة والعيون المتلونة، وعمليات التجميل المستنسخة بنفس مقاييس الخدود الاصطناعية الممتلئة بالبوتكس أوالكولاجين أوالسليكون، لتليها الشفاه ومنعرجات تضاريسية أخرى خاصة بالأنثى فقط، فجعلوا لها معايير في الاستدارة والإنحناء والارتفاع لتصل حد الإرضاء الرجولي..

غابت القناعة والاقتناع بالشكل الطبيعي الذي وهبه لنا الله سبحانه وتعالى، والذي يستجيب للتفرد والتميز في الجمال.. فأصبحت كل واحدة - لها من المال مايكفي- تسعى إلى نموذج شهير كي تشبهه..

ما يحز في النفس، أن الممثلات الهوليوديات أول من تعاطى بكثرة لهذه العمليات التجميلية، لكن مع ذلك لم يبالغن أو يفسدن خصوصية جمالهن الطبيعية، لم يتهافتن ليصبحن نماذج مستنسخة عن جمال أخريات..بل يقمن بعمليات تجميلية معقولة ليظهرن أكثر شبابا ويحتفظن بجاذبيتهن الخاصة..

أما الشهيرات عندنا في العالم العربي فبئيس ما تراه، نسخة واحدة متداولة ومكررة.. كأنهن مرتبطات بقرابة دم وجينات!!.. يقمن بعمليات جذرية تماما، يمسحن صورتهن الأصلية ويتهن في ملامح غريبة عنهن، فيفقدن بذلك التميز الطبيعي والاصطناعي على حد سواء!.. حرمونا من إشباع حنين تجاعيد الجدات...

إحدى المغنيات العربيات أجرت عدة عمليات تجميلية متتالية، تغيرت فيها بالكامل، لم يتعرف إليها العديد إلا بعدما صدحت بالغناء، صوتها الوحيد الذي سلم من تلك العمليات ورافقته في السلامة نظرة عينيها التي لم تختبئ خلف عدسات لاصقة!!.

الأنوثة اليوم فقدت إعتزازها وثقتها بنفسها واستسلمت لقالب نمطي يرضي الرجل أكثر مما يرضي نفسها، لدرجة أصبحت تتباهى بإغراء وتتبختر وتفتخر بقدرتها الخارقة على إمالة الرؤوس وإطاحة القلوب وإفراغ الجيوب!!.

أنوثة زمننا اليوم قائمة على المظهر فقط، ماعاد الاهتمام بالقيم والأخلاق والفكر، ماعادت الأنثى تكتفي بما حباها الله به من جمال طبيعي، كل الصفحات والمجموعات النسائية في العالم الافتراضي، تتنافس على تقديم أنجع وصفات تكبير تلك ونفخ ذاك وشد هذا وتنحيف هذه!!. الأنوثة اليوم تتشبث بكل ما هو اصطناعي لتظهر أبهى وأشهى..

حتى العروس في وطني تتغرب عن نفسها، بعدسات مستعارة وشعر مستعار(أو لون مستعار) وأهداب مستعارة ومخالب – عفوا- أظافر مستعارة، بل إن النحيفات بلا مرتفعات تعبئهن "النكافة" المزينة بالجرائد والأثواب، مع أنه مؤخرا خفت مهمتها في التعبئة، لأن الاختراعات السليكونية، أمدتها بملابس داخلية مرسومة المعالم الأنثوية بجميع الأحجام.. لترتاح الجرائد من عبء الامتهان!!.

أما الشعر فكل شهر في لون، يتحول معها إلى كائن حربائي لا يعرف الثبات اللوني ولا يُعرف أصله من فصله، مع "الكيراتين" و"اليوكو الياباني" في تحد سافر للطبيعة الجينية، فتجد سمراء داكنة بشعر أشقر ينافس الحرير نعومة!!.

المشي لم يسلم بدوره، تجد الأنوثة اليوم.. تتمايل دون سبب..تهز الخاصرة بلا نغم، تنقر الكعب بلا خطوات، فقط تنقره مكانها ..كي تثير الإنتباه..وتوقظ التحرش المتوحش، بعدما عجز عطرها الكيلومتري الدوار عن فعل ذلك، أو عجز جسدها بتفاصيله التي ستنفجر في لباس محشور.. يعصرها ككوبرا جائعة!!.

الأزياء إختلطت، لم تعد لها معايير لكل مقام لباس أولكل جسد مقاس!!.

العديد من الفتيات المهووسات حد الجنون بالموضة والحرية الشخصية، يتجولن في الشوارع وكأنهن خرجن توا من غرفة النوم أو سيدخلنها!!.

وللسخرية.. بعض المتزوجات يشعرن بالخجل من ارتداء تلك الأزياء أمام أزواجهن!.

أما الأسواق فمحلاتها التجارية تعج بنفس السلع ونفس المقاسات الملتصقة بحميمية مربكة بالجسد، لتفرض نفسها عليك دون أن تترك لك مجالا للاِختيار سوى الاجتهاد في تصاميم خاصة، على أمل أن تحيكها إحدى الخياطات دون أن تخيب انتظاراتك!!.

الزي الذي لا يشبه صاحبته ليس لها..

ما يثير العجب في الموضة، أنها لا تستجيب لطلبات الزبونات.. بل تجعل الزبونات يستجبن لجنونها!!.

ألم يقل السابقون: الموضة يبتكرها الأحمق.. ليتبعها العاقل!!.

المضحك، أن الرجل نفسه لم يسلم من هوس الموضة، وسط الحشود وفي رؤية للنصف السفلي للأجساد، يصعب تحديد الجنس الذي تنتمي إليه، تحتاج إلى رؤية كاملة للجسد حتى يتأكد الانتماء ويختفي الالتباس، والغريب أنه في حالات، يظل الالتباس قائما!.

الموضة تصنع نماذج مكررة بهوس، تعبث بالأجساد كيف تشاء، وتستغلها لترتديها وتظهر فيها طغيانها المعتوه..

فتصبح الأجساد مثل الدمى التجارية المجانية، تستعرض منتوجات الموضة بغباء دون راتب أو صفة أو حقوق نشر!!.

ومع ذلك في زاوية ما، قد تجد فتاة أصيلة بعنفوان لم تسمح للموضة أن تستوطن تميزها في اختيارات أزيائها الملتزمة بحياء رباني واعتداد بخصوصية أنوثتها..

ولم تكترث بإرضاء الموضة وتقديم طقوس الولاء لها ولو اشتهاءا !!.

بل لم تخفي استهجانها و تمردها، كي لا تطويها الموضة طيا مع دماها البشرية المخدرة في استسلام تام لجنونها وعربدتها..

تحب اللباس الذي يشبهها..

تحب الشساعة.. وعدم تحديد الممتلكات أو الإعلان عنها..

تحب الغموض.. حتى لا تكشف للغرباء هويتها الأنثوية، وتستعرض خصوصيتها الحميمية بافتضاح يناقض رغبتها في الستر!!.

وبكل إدراك.. تعي الإيديولوجية الاستغلالية للموضة التي تستهدف ضرب ثقافتها الدينية وتميزها الحضاري، لتصبح أداة موجهة لإشباع نزوات مرضية شاذة تجعل من الأنوثة سلعة تعرض وتباع وتشترى!!.

تكره أن تكون محفزا مغريا لمخيلة مريضة..

تكره أن تنتهكها العيون الذكورية المنتشرة بكسل على المقاهي، بلا هاجس غير اصطياد متعة مجانية تقدمها لهم.. العابرات الكاسيات بلا كسوة فعلية!!.

مثيلاتها وجبة دسمة غير قابلة للهضم من طرف إيديولوجية الموضة، التي لم تستطع التطاول على ذكائهن وملكاتهن العقلية والدينية لتشكلها كما تشاء!!

وهذا النوع محتشم العدد، أمام التيار الزاحف كالجيش الأسود المغولي الذي يحصد كل حشمة وحياء!!..

الفتاة اليوم ترعب.. لم تعد تعرف قول لا..

استباحت مروءتها وقدمت للرجل أنوثتها كوجبة سريعة مستهلكة..

تدق باب نصف رجال الكرة الأرضية، في مواقع الدردشة والتعارف وكل مواقع التواصل الاجتماعي، قبل أن يدق البلوغ بابها..!!

ماعادت ترضى غير هدفه بديلا..

تبحث عن وجبة مذكرة جاهزة لتمارس الدور الذي أمضت سنوات طفولتها في متابعته على التلفزة والحديث عنه مع رفيقاتها..

تعرف العشق الممنوع، سنوات الضياع، عاصي، الحب والعقاب، نور، على مر الزمان وسامحيني ووو..

لكنها تجهل عالم صوفي، الأمير، الحرب الحضارية الأولى، نقد العقل العربي، في مهب المعركة، مدن الملح، كوابيس بيروت، الزمن الموحش، عائد إلى حيفا وفوضى الجسد وو....

السواد الأعظم من بنات حواء يضيع ويتوه في مسابقة البحث عن كنز افتراضي اسمه الرجل!!.

تمضي مراهقتها في مطاردة فعلية لكل ما هوسخيف وسطحي..

بالكاد تلتفت إلى كيانها لتجعله كيانا فكريا مستقلا طموحا، وترسم هدفا علميا وعمليا واضح المعالم تكون به مفخرة لوطنها ولأطفالها مستقبلا..

فتنفق سنوات عمرها على السخف لتعيش فراغا فكريا كالصقيع..

وعندما يمتلكها الرجل يتفانى في الانتقام منها ..

يحتقر كل صفة جذبته إليها يوما..

وعندما يستيقظ داخله الشرقي ذي الشخصية المزدوجة، يغلفها ويسترها ويعاقبها، كأنه يعاقب نفسه المتخاذلة فيها..

فيدافع بنزعة ذكورية صرفة عن حق الرجل في الاستمتاع نظرا إلى كل أنثى، ويجرم ببطولة ـ دفاعا عن الشرف- إن تعلق الأمر بأخته أو أمه أو أنثى تخصه، بل يصبح مستعدا للسجن أو القتل حتى!!.

سابقا، يستهويه دورها في إثارة انتباهه و جذبه واستمالته..

لكن بعد الزواج ينتفض على أسلوبها.. ويتفنن في القسوة عليها لأنها حرمته من دوره الأزلي كصياد!!.

للأسف جيلنا يبذر حياته على السخف، مذكره يطارد كل تاء تأنيث بخلفية!!.

ومؤنثه يلهث وراء الأصباغ والموضة والأملاك..وتركوا الوطن عاريا تنهبه الأطماع دون رادع!!.

فاس

كوني أنثى باعتداد... وأحبيه باعتداد، وحتى إن تركك..ستقفين باعتداد

حسنية الدرقاوي





- الإفلاس من الحب يوم عيده-

أهدرت كل الحب والعمر معه...

وزرعت في أحشائها فقرا كي تهديه حصادا فاحش الثراء..

تحملت كل لحظات الغياب المنزوعة قسرا من لهيب الشوق والانتظار..

معه أغمضت أجفان الشك وفتحت أبواب الثقة، لأنه رفيق الدرب والعمر وحبيب القلب..

لم تتذمر يوما من عبء المسؤولية الملقاة على عاتقها، والدور المزدوج لها كأم وأب في ذات الوقت...

تحملت كل شيء بصبر أم صالحة وعطاء أنثى عاشقة..

تخطت سنوات الشباب لتدخل بطواعية للكهولة، بعد أن تجاوزت بأطفالها الثلاثة السن الحرجة للمراهقة..

تنفست الصعداء، أخيرا سيلتئم شملها مع والد أطفالها الذي أخذته ظروف العمل للاستقرار في مدينة أخرى!!.

تركت الموطن والجذور والتحقت بعش الزوجية، لتنعم بعطلة نهاية الخدمة المزدوجة..

أفجعها اكتشاف صفتها المحينة، الآن أصبحت تحفة في رف النسيان ..ينعم عليها بزيارة، بعدما جردها من صفة الحبيبة - لتصبح أم أطفاله فقط، إذ اتخذ لنفسه عشيقة كدمية ملونة بأطياف الموضة والحداثة، يستعرضها بتباه تحت الأضواء الليلية..

مهر الثانية، هوالحصاد المولود جوعا من رفيقته الأولى..

والأشد وجعا -أجبرها توسلا- على الموافقة ليجعل من دميته الفتية زوجة ثانية بمباركتها وموافقتها الجريحة...

حاولت أن تقتلع حبه ووهم الوفاء والثقة اللذان عاشت في أسرهما لسنوات...

حاولت أن ترضخ للروابط الدموية والقلبية التي تربطها به، وتتحمل صوت الأخرى المستجدي في الهاتف لتقبل بها ضرة لها!!.

كبرياء الأنثى خذلها، ورغبتها العميقة في أن يكون لها وحدها مزقتها...

صرخت..هددت.. حتى انهار تماسكها النفسي ، فقامت بمحاولة أولى فاشلة للاِنتحار!!.

كان من المفروض أن يكون ذلك ناقوسا تحذيريا لرفيق الدرب، الذي استكان لفترة، قبل أن يعود لإلحاحه في الزواج من الدمية الملونة!!.

ألقى بها دون رحمة بين فكي الاكتئاب واليأس والاستسلام...لتعاقر المهدئات والمسكنات كي تنسى خيبتها فيه..

لم تتحمل المسكينة الجحود الذي كان مكافأة نهاية تضحيتها..

لم تتحمل ورقة الطرد التعسفي من الحياة والحب.. التي أشهرها والد أطفالها في كبدها...

فاختارت يوم عيد العشاق لتعلن إفلاسها من الحب..

وهوت انتحارا من شقة عمارتهم الشاهقة!!.

ليتأسف رفيق الدرب بكلمات منمقة منافقة..ويقتلها أخيرا، بإخبار أقاربها أنها مصابة بمرض عقلي ونفسي!!. رفعا لشبهة الدافع والتباس القتل.. شوه نهايتها في حبه.. شوه عجزها عن استيعاب خيانته وجحوده..

وقبل حلول الذكرى الأولى لانتحارها خيبة وصدمة.. كان قد تزوج دميته وريثتها في البيت والزوج والأطفال!!.

نصيحتي لكن يا بنات حواء... لا أحد يستحق أن تنهي حياتك حزنا عليه..



لا أحد يستحق أن تغضبي الله لأجله... لا أحد يستحق أن يأخذ صلابتك، ويرميك لمعاقرة المسكنات والسكن في العيادات والمستشفيات العصبية والنفسية..

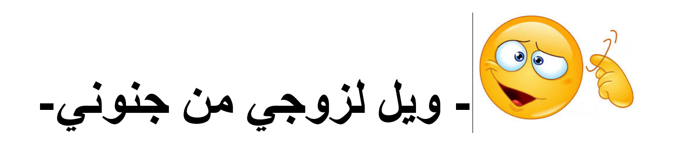
لا أحد يستحق أن يبعثر تماسكك وتمسكك بغريزة البقاء.. لا أحد يستحق أن تتركي حياتك، أطفالك، أحباءك لأجله..

لكل من وصلت لباب مسدود، لا تقفلي على نفسك وحيدة مع اليأس، فينفرد بك ويقتلك، ثم يأخذ تعقلك ويرميك لعاصفة من الجنون تسحب منك التفكير الصائب والسوي، حالما يشتد بك الحال، فورا.. اغسلي وجهك بالماء البارد، توضئي للصلاة، استمعي للرقية الشرعية أو اِقرئي القرآن حتى تهدأ نفسك وترتبي أفكارك لتحاصريها بالخوف من الله.. ردِدي دعاء الهم والكرب كي تقتلي شيطان اليأس الذي يجثم على صدرك ويخنق أنفاسك.

تذكري أن لكل مشكلة حل، واستحضري قوله تعالى: " إن مع العسر يسرا"، وأن كل أزمة مهما اشتدت.. ستنفرج بإذن الله تعالى..

انظري لمن هم أشد بؤسا ومعاناة منك، ومع ذلك يستمرون بأمل وابتسامة..

لا تقنطي عزيزتي من رحمة الله.. تحدثي إلى صديقة تثقين بها أو ادخلي مجموعات في الفايسبوك خاصة بالمشاكل النفسية، اعرضي مشكلتك تحت اسم مستعار أو دقي مباشرة باب اختصاصي نفسي ليعينك على تجاوز المحنة.



- ويل لزوجي من جنوني-

حدقت في ملامحها الذابلة ..وأنا أكتم تلك الحمم البركانية التي تكاد تخرج من أذني..

مؤكد ستحرقها وتحرقني..

هدأت أنفاسي..

انشغلت بالإنصات إليها.. وأنا أعد في أعماقي إلى العشرة..

انخرطت في نحيب موجع وشهقاتها دفعت بركاني للخروج حارقا من أحداقي..

مددت يدي إليها..اعتقدتني سأحضنها وأنغمس في إشفاقها المزري على نفسها..

هززتها بحدة من كتفيها والشرر في عيني يخبرها أنها تجاوزت حدود صبري:

-"توقفي فورا عن نحيبك..بالله عليك توقفي...ضبطت خياناته المتكررة وتحدث إليهن أمامك وعلى سريرك.. وبدل أن تصرخي أنت..صرخ هو.. وانهال عليك ضربا على تواقحك.. وأنت صامتة.. والآن تنتحبين مخافة أن يتركك...يالله كم أتمنى أن يتركك!!".

توقفت شهقاتها وحاولت أن تميز جديتي من خلال دموعها...

وعندما تأكدت، عادت للنحيب..وصوتها الممزق يصفعني:

-"الكل يتركني..أنت لست صديقتي"...

أجبتها فورا:

-"طبعا لست صديقتك..!، لأنك لست صديقتي..

صديقتي ضاعت، لا أرى الآن إلا شبحها الذي أفسده ذل الحب..

أين اختفت صديقتي المتوهجة الضاحكة؟، التي توقف القلوب بشموخها واعتدادها.. صديقتي كانت تعرف متى تقول نعم ومتى تقول لا..

صديقتي شاهقة بكبرياء، الكل كان يلهث لإرضائها..

أنت لست هي..

أنت شبح تابع لظل زوجك..!!".

عاد صوتها المنتحب يهيج بركاني:

-"لكني أحبه.. لا أستطيع العيش دونه!!"..

دمرني نحولها وشحوب بشرتها، والموت الزاحف إلى شبابها..

لكم رغبت في صفعها كي تستفيق.. !!.

لكم رغبت بشدة انتزاع فروة رأسها، لأرى إن كان تحتها دماغ بشري!!.(اتراني سأفعل؟!!).

عصرت كلماتي بألم :

-"ومن قال أنك تعيشين أصلا!!"..

يالله لقد أوقفت نحيبها المزري.. لمحت بريق أمل خاطف عانق عيونها:

-"أنت صديقتي أليس كذلك، ولن تتركيني؟!"..

عصرتها إلي ضما وكأني أريد أن أسحب منها شبحها الشاحب وأقتله، وأشحنها بجنون الغضب الذي يعربد داخلي..

وبصوت متحشرج بالدموع التي ابتلعتها لتطفئ حممي:

- "طبعا أيتها الحمقاء أنا صديقتك..

ولن أتركك أبدا..

لكنك تثيرين غيظي..

تقتلينني قهرا بصمتك..

تدمرينني باستسلامك..

تجعلينني أعيش فشلي المريع كصديقة لك، واجبها إنقاذك من الغرق..

منذ البداية أخبرتك: أوقفي مهزلة نزواته..

تدخلي بدل لعبك دور المراقبة الصامتة التي تبكي وتطعن جرحها بعجز..

خوفك من أن يتركك، كبل شفاهك بالسمع والدمع والطاعة..

حتى صار يتجاهر بالحديث إليهن، ويضرب لهن المواعد على متن فجيعتك..

ماعاد يحس بك زوجة تغار..وترفض إمتعاضا وتحتدم غيظا ..وتقيم الزوابع على تجاوزاته..

أصبحت ملغية وليس لحضورك اعتبار...

انبحي، اجعليه يشعر أنك تقومين بدورك الحمائي لبيتك!!.

إزأري، دعيه يلمس أن المعتدي على حدودك مفقود!!.

دعيه يعاين جنون غضبك..

وقبل أن يفقد عقله ويفكر في نزوة عابرة، سيرعبه جنونك الخاص و..".

سحبت جسدها مني ..لتقاطعني..

اختفت النظرة المتخاذلة المفجوعة.. وظهر عوضا عنها بريق مجنون عاصف...

تراجعت إلى الوراء.. حذرة من الإعصار الذي يدور في مخيلتها وعينيها..

ثم لمحت الدماء تتدفق إلى شحوبها، والحياة تعود إلى النبض في صدغيها..

انتصبت قامتها بعنفوان، وانتبهت لأول مرة أن نحولها أكسبها طولا رشيقا..

فاعتدلت في وقفتها بخفة.. كأنها فهد شرس يستعد للفتك بطريدته..

توهجت بشرتها وبرقت عيناها جذلا، لتبتسم بمكر مرح حازم وهي تقول:

-"شكرا صديقتي لأنك ساعدتني على العودة...ويل لزوجي من جنوني!!".

توسع الجنون في حدقتيها ..

ورددت لنفسي بخفوت:

- "يبدو أن ذراعي منحاها حقنة زائدة من الجنون!!".

إلى كل زوجة تتعايش مع خيانة زوجها:

لا تسمحي لصمتك السلبي بأن يفاقم الحالة ويكسر حاجز هيبتك ويتطاول ليدوس قدسيتك..

إستمري بحكي قصص حقيقية مفجعة للخيانة، كالموت على معصية الزنا أو العشيقة التي تقتل الزوجة أو الأولاد آنتقاما من الزوج، أو الذي أصيب بالإيدز ودمر زوجته الحامل..

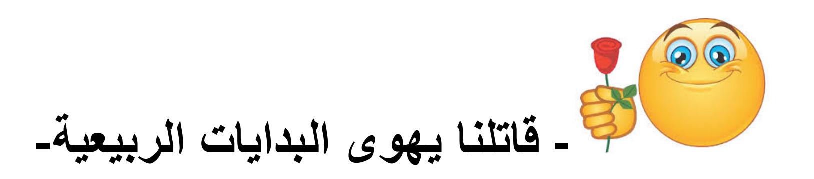
ذكريه أن عقوبة زنى المحصن، الرجم حتى الموت في الدنيا.. وبما أن الحد لا يقام فقد خسر كل حسناته لصالح من ظلمهم..

ذكريه أنه يواجه غضب الله وليس له غير التوبة النصوح، مع الإكثار من العمل الصالح والعفو عن كل من أذاه، هذا فقط ليستجدي رضى الله ويتجنب سخطه..

أما حقوق اللذين آذاهم، فتابعوه إلى يوم القيامة ليأخذوا من حسناته ماشاؤوا.. وعندما تنتهي حسناته يحمل سيئاتهم، ولا يبقى له إلا الأمل في رحمة الله سبحانه وتعالى وعفوه.

معظم الزناة المحصنين هذا الوقت في غفلة شهوانية لما ينتظرهم..

فبالله عليكم أيها الخونة من المحصنين والمحصنات، كيف تسمحون لغريزة وشهوة ونزوة أن تخسركم دنياكم وأخراكم !!.



- قاتلنا يهوى البدايات الربيعية-

دائما الرجل يختار التوقيت الربيعي للدخول في حياة امرأة..

ليستمتع بخضرتها ونضارتها، ويختال زهوا في ألوانها البيضاء والسمراء والصفراء والسوداء والقمحية..

ليبيع لها أحلام ألوان قزح الغامضة..

ليهيئها لدفء الصيف..

عندئذ يبدأ موسم استعراضها أمام رجولته، بعد أن عراها من ألوانها الخضراء النضرة وشبابها اليانع..

ليتركها واقفة على عروشها اليابسة كرزمة حطبية تستجدي ناره..

وعلى مهل.. يجردها من دفاعاتها ويلتهمها كتحلية لعشاء باذخ، يودعها هي.. ويرحب بالفصل القادم مع ضحية جديدة!!.
فيدخل قلعته ويقفل عليها أبواب الخريف، برياحه وكآبته الموحشة وبرودته التي تنزل على الروح كالصقيع لتتجمد..

تتطلع إليه أملا للدخول مجددا إلى قلعته المحاطة بالأسلاك الشائكة وحقول ألغام متفجرة، كتحذير من الاقتراب واستجداء الرحمة من بابه..

فلا يبقى للمسكينة إلا الضياع على أرصفة الانتظار، وسط الأوراق اليتيمة المتساقطة والمبعثرة.. شبيهاتها ونيساتها..

تتوسد أمل حلمها وتتدفأ بثقاب التمني عله يشفق عليها..

في حين يستمتع قاتلها بمراقبة احتضارها البطيء، خلف نوافذ زجاجية اكتسبت صلابتها من قساوة قلبه، وأخذت دفأها من ضبابية أنفاس انتصاره!!.

تموت بعد نهاية آخر ثقاب لتمنيها العقيم، كما ماتت بائعة الكبريت عندما انتهت علبة كبريتها وأحلامها، لتغادر في سلام مع جدتها التي أخذتها معها، مخلصة إياها من قسوة البشر ودوسهم عليها دون رحمة أو شفقة..

ماتت أخيرا كضحية مغفلة لقاتل يحتال بالحب ويقتات به..

يلتهم القلوب التي لم تستجب لتحذيرالخبيرات قبلها.. لتستسلم لرغبتها الجامحة في عيش الحب دون مناعة أخلاقية وفكرية ودينية تجعلها ترى الهوة قبل أن تبتلعها..

وفي النهاية يخرج القاتل من قلعته أخيرا..

ليجمع الأوراق الشاحبة التي تحكي ربيع امرأة خطت هنا..

والتي تشوه عتبته كما يفعل جسد ضحيته المسجى بسيرته العشقية..

فيسارع لإخفائها في مقبرته الجماعية النسوية السرية، ويحرقها لتطير رمادا في الفضاء وتضيع معالم جريمته كسفاح عاطفي مستتر..

حينها يستقبل الشتاء بابتسامة متواطئة، تخادع بياض الثلج الذي أخفى ببراءة بشاعة جنحه..

فيسمح للأمطار بمسح بقايا أوراقها الخريفية من سترته، والحمض النووي الذائب في ملوحة دمعها الملتصق بكفه..

ينتفض منتصب القامة لامع العينين وحازم العزم لاستقبال ضحية الربيع القادم...

فحذاري سيداتي...

قاتلنا يهوى البدايات الربيعية من أعماركن..



- حب تحت المطر-

ماذا عساي أقول عن نظرتك الأولى إلي في منحدر شارع محمد الخامس بالرباط..

كنت أعرف معنى الاِنبهار، لكن يومها صافحته في عينيك مباشرة..

وكأنك لا تصدق أن حبيبتك التي كنت تحلم بها، خرجت من مخيلتك على قدمين، مرتدية معطفا بنيا قصيرا وسروالا فضفاضا مع حذاء مطري بني!!.

عيونها تبتسم لحبات المطر، وشفتاها الضاحكتان تقبلان السيول التي تغطي وجهها.. وهي منغمسة في الحديث إلى صديقتها الوفية..

الأضواء الخافتة للسابعة مساءا.. تظهر رذاذ الأمطار كحبات لؤلؤ لامع ..

عانقت عيناها ذاك الرذاذ.. لتحفر روعته في جدار ذاكرتها التي تعشق كل الفصول، وابتلعت حبات اللؤلؤ لتزداد عفوية ووهجا..

ولأني أحب المطر وأكره المظلات..

شعرت بطاقة غريبة تحط علي..

فرفعت عيناي إليك...

تجمدت ضحكتي وأنا أرى نظرتك المذهولة المصعوقة.. دون أن تخبئ منها شيئا من مكابرة..

سرق مني ذهولك ابتسامة دهشة، لبراءة تعبيرك دون تزييف أو مبالغة..

لتحط نظرتك بكل ثقلها على جوارحي الحالمة..

فبعثت إلي برقية يقينية في برق شق السماء فرحا:

"عثرت عليك أخيرا يا أم أطفالي!!"...

لم تكذب برقيتك...

فقد أصبحت أم أطفالك فعلا..!

كان من الممكن جدا أن أعبرك دون اكتراث كما أفعل دائما..

كان من الممكن أن أقفل سدال ابتسامتي الغافلة الأولى..وأعبر الطريق كأنك نسمة مطرية عابثة هزت أوتاري برجفة متجاوبة...

كان من الممكن أن أعلن بفظاظة ككل الحالات السابقة: أني غير مستعدة مطلقا لسجن حريتي وتقييد استقلاليتي..

لكن يدك الخفيفة السمرة الطويلة الأصابع برجولة هادئة، شدتني.. وجعلتني أشهق أن خلفها جبل في منتهى الحزم و الكرم..

وأني ببساطة قيثارة صامتة..

بجينات تحمل بصماتك..

ولن تصدح إلا لعزفك!!.

تريثت -على غير العادة- في الإنصات إليك..

لتأخذني في رحلة موسيقية مجهولة السمفونية.. هل هي السابعة أم المائة أم فوق العد..

لا أعرف!!.

ما أعرفه، أنها في سرعة البرق تقطع الأنفاس..

ما أذكره، لهفتي فيك وإنقطاع أنفاسي الحالمة وأنت تأخذني لمنعرجات خطيرة، ماحلمت نفسي الرزينة بالوصول إليها..

يداي متمسكتان بطرفي الطاولة..

ورجلي منغرستان في الأرض..

وعيوني شاخصة إليك بذهول..

أتنفس بصعوبة وريح صوتك تعصف بي، كإعصار التف حول تماسكي وحولني إلى خبيرة موسيقية، تختبر معك الحب في مقاماتك..

كان من الضروري لقلبي أن يأخذ أوكسجين الطوارئ، بعدما حملته إلى المطب الهوائي "لصابتك" البالغة التذبذب، والتي ألقته في حالة ارتجاف ارتدادية..

كان من الممكن أن يضيع ولا يعود من "مثلث برمودا" الذي تخلفه ابتسامتك!!.

أما منحدر" السيكا"، فكان لزاما علي أن أمسك يدك، حتى لا أفقد توازني وأقع في بحيرة عشقك بلا أدنى نية للانعتاق..

وجبال "النهوند" خاصتك تركتني أختبر فيها معرفتي بالاتجاهات، وقطعا، اخترت الاتجاه المؤدي إلى الضياع فيك..

دون أدنى رغبة في العثور علي..

على متن "الحجاز" تركت لفرسي العنان لتصهل على أوردتك، وتلقي بشعرها الفضي على شرياني قلبك لتشبكك بي إلى اللارجوع...

وهناك على صهوة "الرصد" سجلت كل تحركاتي، وكبلت كل خطواتي لتتماهى معك، وتعلنني فائزة صمدت لمقاماتك المدمرة التي تهلك المشاعر وتستنزفها..

وبكل جموح أحاسيسك غنيت لي:

"صدقيني بحق الهوى بأني أحبك، وإن كان عندك شك سالي الآن قلبك..

بكل البراءة عندي ومافي دمي من رجولة أحبك يا أخت عمري الطفولة أحبك فعلا ومالي حيلة..صدقيني"..

ما كدت أسأل قلبي..حتى صرخ في البراري:

"تحبينه يا مجنونة!!"..

وأكدت أنا: "بالتأكيد أحبك..أصدقك..ومنذ الأزل أعرفك!.

وأصدق أكثر جنوني في واحات عشقك الممطرة المزهرة والظليلة بك..

كان المطر عراب حبنا...أصبحت أحب حبات المطر أكثر.. لأن الله أرسلك لي على صهوتها.. وأنا ألثمها.. ملكت السعادة بك..

على إيقاعها طلبت مني وعدا ألا أفكر في تركك مطلقا- مع أنني كلما أردت إعلان حبي لك أخبرك أني سأتركك- وطلبت مني إجابة حاسمة أخذت فيها مهلة تفكير..

على ضوء قوس قزح وحبات المطر تغسلنا على حافة نهر أبي رقراق، طلبت منك الوثوق بي..لأجلسك بطواعية على مقعد مبلل.. حيث قدمت لك عمري في خاتم منقوش باسمي، وأربعة ورود بيضاء يعلنون: أني قبلتك ضفتي الآمنة للأبد..

وفي ليلة زفافنا وأنت تغني لي "بحلم بيك أنا بحلم بيك"، كانت سيول المطر تغني معك وأنت تراقصني، والرياح تغازلنا بخفة وتلتف حولنا بهجة وزخات..

حتى أطفالنا أنجبناهم في المطر...محظوظة أنا، لأن عشقي الطبيعي للمطر كان رديفي في عشقي البشري.

واد أبي رقراق

أصبحت أحب حبات المطر أكثر، لأن الله أرسلك لي على صهوتها، وأنا ألثمهـــا ملكت السعادة بك.

حسنية الدرقاوي





- متوسدي "الدص" حقيقة وليس مجازا-

يعتقد كل زائر للعاصمة الرباط نهارا، أنها مدينة الإدارة والأعمال وأشياء أخرى مثالية ترتبط بمفهوم العاصمة.. ولكن ليلها يرفع عنها القناع ويتركها مكشوفة للكل..

فترمي قناع الجدية والشموخ، لترتدي قناعا آخر يحمل بصمات الظواهر الاجتماعية القاتلة، التي توقع بسيفها البتار على أجساد المواطنين بلا رحمة..

لتزدحم الشوارع بفتيات شبه عاريات، يعرضن أجسادهن بسخاء لأفواه المتع والنزوات العابرة، ينافسن "صاحبات الحرفة" المحتفظات بمظهرهن التقليدي،

واختلاف ألوان جلابيبهن يحكي بمرارة تنوع مآسيهن وظروفهن القاهرة، فتعجز الابتسامات المخادعة عن إخفاء معاناة محفورة بعمق على بشرة جافة، شحوبها

عنوان سوء تغذية وحالة اجتماعية مزرية..

فتنافس الصبيات "العصريات" صاحبات الحرفة ، لم تعد السيارات الفارهة تبحث عنهن بقدر ما أصبحت تبحث عن الهاويات الشغوفات للمتعة المسروقة بمقابل أو بدونه..

أما المتشردون، فيجدون في الليل الصديق الأنيس الذي يخفي بؤسهم ويحميهم من العيون الفضولية التي تتابعهم باستهجان تارة وشفقة تارة أخرى..

فيقبع أحدهم في ركن مظلم يمسك " بالشمة" بيده، ويعصف بطريقته الشاذة بالواقع المرير الذي يصر بإلحاح على هزيمته..

في هذه اللحظات، يتشبث بأحلامه الخاصة التي وئدت كما وئدت أحلام الالاف من الشباب بمختلف أنواعهم، الفرق أن كل واحد اختار طريقته للهروب أو المواجهة

أو الانسحاب التام من الحياة..

وفي الأزقة الجانبية تقبع أجساد المتشردين..

واحدة منهم تتوسد الأرض القاسية بارتياح وفرح، لأنها قبلت اِحتواء جسدها المنهك الذي استغلته الأيادي الذكورية وعبثت به في لحظات الضعف والإنكسار..

لتندثر المعالم الأنثوية بفعل السنين، وتكتفي بالإرتماء على الأرض العارية تاركة لها وللسماء حرية العبث بالجسد الذي كان عرضة لأبشع أنواع الاغتصاب والاستغلال..

وبدل أن يحس الزائر بالاحتواء في ليل العاصمة، يشعر بالغربة وكأنه في أحد الأحياء الهامشية المتشبثة بأذيال باريس.

وفي العديد من الأيام يخذل نهار الرباط ليله، فيكشف القناع عن مأساته ومأساة مرتاديه..

وذات يوم أنهك التعب الأجساد المشردة في الليل، فباغتها الصباح في غفوتها وعرى بخشونة نكبة شريحة من هذا الوطن العزيز الذي يعاني مواطنوه الويلات..

عجوز بجلبابه البني الرث يستند بكبرياء إلى عكازه الوفي، الذي احتمل ثقله بتفان..

وامرأة ثلاثينية سمراء، شردتها الأيام ورمتها لقمة سائغة لأنياب الزمن..

احتمت بالرجل العجوز، فرمت برأسها المتعب على كتفه ..

واستسلمت للنوم كما استسلمت للزمن..

وعلى ركبتها استلقى شاب بفم مفتوح، لانغماسه الشديد في النوم..

قد تخاله للحظات متطفلا على ركبة "المشردة"..

ولكن عكازيه تحت قدميه يؤكدان أن صاحبنا "المتشرد" معاق، رمته إعاقته للشارع يستجدي الشفقة والقلوب الرحيمة!!.

أما اللمسة الأخيرة التي سخرت بعنف من الشعارات الجوفاء التي ترددها الحكومات المتتالية على مسامعنا، فهي صورة المرأة "المتشردة" وثديها مذلى عن شق صدرها، وابنها الصغير يستجديه أن يجود عليه بقطرات من الحليب!!.

فيرضيه تارة ويتركه تارة أخرى يتصارع مع جفاف وشح مصادق عليه من القلوب التي تتخطاه للعمل على عجل!!.

قبل أن ينضم إلى أخته التي تلعب ببراءة أمام أمها، وهي مسرورة بأشعة الشمس الدافئة التي فضحت- دون أن تدري- مأساة هذه المجموعة، التي جمعها البؤس والفقر في مدينة الرباط العاصمة..

فمرحى لليل الرباط الذي فضح السياسات الفاشلة والمخططات السداسية والسباعية، وبين أن العديد من المواطنين يعيشون فعلا على "الدص".. واقعا وليس مجازا..



الصورة حقيقية، صادفتها ذات صباح باكر سنة 2005، في طريقي للعمل وطلبت من الرسام إبداع تفاصيلها
حسنية/ د








- قهر الانفصال - 

نحن النساء لا يقهرنا أن يتخلى أحباؤنا عنا..

يقهرنا ما يخلفه عدم الاهتمام..

يقهرنا الإهمال!!.

كم من امرأة شبكت خيوطها مع شخص لم يحتل قلبها؟!.

ولكن فقط استكانت إلى اهتمامه وسؤاله لأنها تخشى اليتم العاطفي ..

تخشى الوحدة..

تخشى أن تنسى كأنثى مرغوبة..

تخشى دار النسيان دون رنة هاتف أو لمسة سؤال أو حصار..

تخشى حضور الفراغ ..أكثر مما تخشى غياب الشخص وخسارته..

لذلك قد تذل..

قد تطمس هويتها وتقدم تنازلا تلو الآخر..

المهم ألا تلقى وحيدة لفك المنفى عن المشاعر..

ولهذا فغالبية النساء لا تختار الانفصال..

بل تتجنبه..

ترتعب منه.. تفضل الموت عليه..

ولتفادي هذا الإحساس المهلك الذي يستنزف شبابها مبكرا...

تقدم تنازلا تلو الآخر..

تسمح للرجل أن يشتم و يسب..

تسمح له أن يضربها ويهين قبيلتها وعشيرتها..

تسمح له أن يخون بمباركتها الصامتة..

تسمح وتسمح وتسمح ..

ومع ذلك، تخشى أن يفكر في تركها والانفصال عنها..

وإن فعل وغادر، تتمنى نهايته قبل أن يتجاوز عتبتها، أو يموت اختناقا إن رحل لأخرى أيا كانت أفضل أو أسوأ!!.

لأن الذي يغادرنا، نفضله مفترشا نعشا، على أن يفارقنا مفترسا عشقنا، وبمقدرة جبارة على العيش دوننا!!.

ببساطة، لأننا نعشق أنفسنا وغرورنا أكثر مما نعشق الآخر، وكبرياؤنا يرفض أن يُهجر أو يُترك قسرا أو اختيارا..

حيث إن إخلاصنا المتفاني في حب ذواتنا، يجعلنا قادرين على تحمل الموت فقدا.. على تحمل الفقد هجرا..

حتى لا نختنق غيظا وشماتة وقهرا..

وسِرا وشرا، نتمنى هجرته من الحياة كلها قبل أن يُفكر في هجرنا..

كي يظل اعتدادنا بأنفسنا شامخا دون شرخ!!.

في الهجر نصبح أنانيين جدا وتهمنا قلوبنا قبل كل شيء..

المحب المتفاني والملغي لذاتيته، وحده يتمنى لهاجره أن يكون بخير، وإن ظلمه جهرا وهجرا ..

يحتاج سماع أنفاس حبيبه على البسيطة، ليعيش موته العاطفي بسلام..

كل النساء سواء.. يخفن الهجر والانفصال..
إلا الأنثى الجبارة..

المهلكة..

المدمرة للدمار نفسه...

تلك التي تنهض من الأنقاض أكثر ضراوة وقوة..

تلك التي تزداد وهجا كلما جرحت..

و تزأر بهياج لتطاوله على هيبتها وإعتدادها..

فتنفض الغبار العالق بفستانها البالغ الأنوثة..

وتترك عيونها الجافة من الدمع تمشط المكان..

تقيم الخسائر..

تعد تكلفة البداية من جديد..

لتسطر جدولة للأهداف المستقبلية في سقف زمني محدد!!.

تلك لا ترتعب من الهجر..

لا تبكي إن غادرها..

لا تخشى الانفصال..

بل تسعى إليه..

لدرجة تثير الرعب في شريكها..

فتجعله يبحث عن ألف وسيلة و وسيلة، للاحتفاظ بها وتحقيق كل أمانيها، حتى لا تسعى بنفسها للتحرر ونيل مطالبها بمفردها ومقدرتها.

هذا النوع يلجم سيطرة الرجل..

يروض رغبته الأنانية في تقييدها بالشرع والأطفال والأوتاد والأعراف..

وبدل أن تكون تحت رحمته..

يصبح تحت رحمتها!.

إذا غادركن شريك جبان، لا تسمحن له بالانسحاب بصمت..

فالصمت نار الفراق وبداية الاغتراب والاحتراق..

النهاية الغامضة المبهمة والصامتة.. لا تليق بعاطفة نبيلة كالحب..

الصمت إذلال واحتقار لعنفوانه..

المنسحب بصمت، مصاب بسادية عشقية مفزعة، تجعله يتلذذ بتعذيب الطرف الآخر، الحائر المنهزم بعواطفه تجاهه ..

والذي لا يفهم سر التخلي عنه في صحراء الاغتراب بلا رحمة أو تفسير..

فتلك هواية الرجال المفضلة..

يستمتعون بترك جثث النساء المتناثرة على الطرقات، والتي ترتدي سريعا ثوب الموتى الأحياء..

لتتحول بدورها لآلة تفتك بالقلوب، فتأتي على ما تبقى منهم!!.

فضحية هذا..تصبح فضيحة ذاك وقاتلته!!.

لتتناثر جثث الأحبة في فضاء الكذب وهتك عرض الحب، الذي يبرأ من طريقتهم الدامية في اعتناقه كمذهب!!.

إلى كل الذين عوقبوا بانسحاب أجزائهم في صمت:

لا تتركوها تتملص منكم دون تفسير..

حاصروها ..

تحدثوا إليها..

اقطعوا حبل الصمت بالمعرفة..

لا تتركوا أعناقكم معلقة في مشنقة السؤال إلى الأبد: "لماذا غادروكم؟"..

فعندما يعرف السبب، يبطل الألم.. وينتهي الوجع..

طبعا الحياة كلها ليست صراع وفرض شخصية وهوية!.

هناك نماذج جيدة تتعايش بسلام، تعطي أكثر مما تأخذ...

طبعا هي نماذج نقرأها.. دون أن نصادفها!!.

جسر محمد السادس في مدينة سلا، أكبر جسر معلق في إفريقيا

لا تقبلي أن يتسلى رجل بتعذيبك من أجل لا شيء،
ثم يعود متى شاء، كأن شيئا لم يحدث.

أحلام مستغانمي



- لم أطفأت الأنوار ؟-

وقفت في وجهه منتصبة القامة..

لامعة العينين.. تخرج منهما شرارة الاِحتجاج..

وهي تقدم له خدها الثاني:

"هيا اِفعلها..أثبت رجولتك أكثر!".

انهالت يده على خدها بصفعة مدوية..

كان من الممكن في وقت آخر أن تلقيها أرضا.. أن ترميها في بحر فقدان الوعي بقسوة..

لكن إباءها وتحديها غرسا أقدامها في الأرض بعمق نخلة..

هي صامدة في تحديها .. وهو ماض في صفعاته.. حتى خارت قواه..

وانهار أرضا على ركبتيه..

لمحت وميض ضعف أسدل على عينيه بتراخٍ..

حنى كتفيه بهزيمة ..

لم يستطع رفع عينيه المنكسرتين في عينيها الصارختين بالقوة والسخرية والاحتقار...

حاول أن يدفن وجهه بعيدا عن هذا الجبروت المتورم الخدين..

لماذا لا يشعر بالسعادة..!!؟ لماذا لا يشعر بالتفوق!!؟.

لم تطرف بعينيها.. لم تذرف دمعة واحدة..

فقط نظرة ذهول عبرت إلى ملامحها..وهي تمسك رأسها ألما..

ويداها تتحسسان الفراغ..

صوتها المرتجف نهارا قتله ألف مرة.. وهو يصرخ ارتياعا:

" لم أطفأت الأنوار!!؟".

إلى كل الأزواج الذين يلجؤون للضرب والتنكيل الجسدي كوسيلة للعقاب، رفقا بالقوارير.. فليس هذا الأسلوب الديني المتحضر لمعالجة الاِعوجاج أو حتى النشاز..

كونوا أكثر حلما، فلكم أخوات ستقهرون بهن إن عنفن من طرف طغاة مثلكم.. سيكون لكم بنات، ستموتون ألف مرة لو فقدن كرامتهن ضربا من أيادٍ أعمى الخصومة بصيرتها..

على رسلكم، فلأزواجكم عليكم حقا.





 - غبي أنا حينما تركتك-

أحرقت بشرتي بنار شمس الصيف.. كي أشوه الإسمرار الذي كنت تتغنين به علي...

ألبست عيوني نظارات عمياء.. كلما هممتُ برؤية المرآة..

كي لا أراك مسترخية باستفزاز.. تتشمسين في حدقتي..

غيرت عطري..

كي لا أستشعر الثمالة التي يصيبك بها.. بؤسا!..إنها تصيبني أنا..

وتوقظ في ذاكرتي موعد لقياك..

رحلت إلى طرق مجهولة تجهل قصتي معك..

مخافة أن تسألني أشجار طريقنا عنك..

لأنك تعالجين أوراقها المتناثرة في دفاترك، وتمنحينها بسخاء ميلادا وتاريخا جديدين يحملان تفاصيلنا معا..

كلما دق موعد اتصالك.. اِلتويت بألم..

أسكت أذني عن صوتك الخارج من الحشايا والضلوع.. بتسجيل طبق الأصل..

أجبرت حواسي بحرمانها منك وتجويعها بك، والرضوخ لتعذيبي بهجرك..

لكنها لا تفتأ تصرخ رفضا..

تمزقت أوردتي وشراييني، لتندفع الدماء كموج هادر يهتف باسمك، تصطدم بجسدي العاجز عن الحركة دونك، فتفشل في إحياء نبض قلبي، لأن مضخة حنانك تواطأت مع جاذبية الفراق لقتلي..

أرتد عن الجدار كي أوقف إصرار ضجيج استغاثتي بك..

كمدمن يخضع لأولى حصص العلاج...

حواسي كلها، تتوسل جرعة إنقاذ من صوتك..

ليعود إلي الاِنتشاء ..

وأشعر بالحياة...

غبي أنا حين اعتقدت أني بابتعادي، سأتفوق على اجتياحك لي..

بعدك جعلني فقط، أحتاجك أكثر..

وأدمنك أكثر!!.

كل اتجاهاتك.. بوصلتي تقودني إليها..

غبي أنا حينما سمحت لغروري أن يطلق سراحك..

كان علي مباشرة بعد وصولي إلى شطآنك الآمنة، ورمالك المتماسكة بذرات الحب والحنان والاهتمام ..

أن أحرق سفن عودتي!.

أن أفسد أي وسيلة تجعلني أفكر في مغادرتك..

الندم وحده لا يكفيني فيك غاليتي..

ها أنذا كل ليلة، أقضم سويعات الليل بأرق دون شبع..

بل يزداد جوعي للاستيقاظ، حتى أعذب نفسي بذكراك أكثر..

بعد أن أغرقت نفسي بإسراف في شبيهاتك ..

بكيت حبيبتي بحرقة..

لأني اكتشفتها نسخا صينية مزورة..

تحمل من الهشاشة ما لا أطيق ..

ومن الميوعة ما يُقزز..

ومن السخف ما يُغيظ..

ومن العري ما يُخجل..

ومن الخيانة ما يُفجع..

أحتاج جملة مفيدة وموزونة منك..

موجهة لي فقط..

وأعدك ..

سأرددها "لازمة" لبقية حياتي..

لكني بائس..

لا وعد لي..

وعدتك سابقا وأخلفت..

أحتاج منك نظرة، تشع الدفء في أوصالي ..

أتشبث بحبالها لتأخذني في رحلات سياحية رومانسية مجانية الإقامة..

أحتاج لصوتك الطفولي، كي يهتف لي.. أن القادم أحلى..

أحتاج وأحتاج وأحتاج..

بحق الله.. اتركيني إليك أعود!.

بحق طفلتنا التي ستشبهك!.

والتي وعدتك بها، ودعوت الله أن تكوني أمها!.

دعيني إليك أعود!.

كي أفي كالرجال بوعدي.. !!.

لكن هيهات..

أعرف قلبك الأطلسي المعتد ..

لن يعود أبدا، لمن تخلى عنه بجحود..

أكادير

بحق طفلتنا التي ستشبهك..والتي وعدتك بها، ودعوت الله أن تكوني أمها، دعيني إليك أعود، كي أفي كالرجال بوعدي.

حسنية الدرقاوي












- صديقتي في حضرة الحزن-

في حضرة حزنك الكاسح تعثرت..

بؤسك –لبرهة- كبل انطلاقتي واندفاعي بقوة الخيوط العنكبوتية لوجعك، والتي كادت تلتف حول عنقي لتخنقني وتكتم صرختي..

لكني أعند بكثير من أن أنحني لوجع..

أصلب من أن أنكسر لريح "الشرقي" الجاف..

أعنت من أن أمر على الاِنهزام وأصمت..

لا تدللي حزنك كأم حنون..

بل اِقسي وزمجري في عيونه كي يرضخ لك..

لا تبالغي في هدهدته..

اصرخي في وجهه ودعيه يهجع لوحده..

الحزن كالطفل، كلما دللته تميع وطغى..

تلك خبرتي كأم..

راقبيه بعين تدعي عدم الاِكتراث..

لا تتركي الحنان يكتسح عيونك، كي لا يراك الحلقة الأضعف، فيتفنن في استغلالك..

كلما أحكمت السيطرة على اندفاع مشاعرك، كلما استمرت هيبتك أطول..

واستجاب للصرامة القادمة من شرارة عينيك ..

وقل إحراجه لك أمام الضيوف..

مع أن ذلك التمرد الوفي، هو ما يجيده الطفل والحزن على حد سواء!!.

بل وتظهر لهما قوى خارقة، ما ظننت وجودها يوما...

أوا تعرفين..!

نامي أنت..

ودعيني أنازل حزنك العنيد..

فسنواتي أعند منه..

وقبضتي على خناقه أشد..!!

دعيني أمارس صداقتي وأتفنن في القضاء على من يتجرأ على دوس راحتك..

دعي ذلك المدلل يعرف أن لك حلفاء، سيمنحونك سبانخ "بوباي" كي تزدادي قوة، وتبطشي بأي حزن يتطاول على روعتك..

أتعرفين ..!.

الصورة الأخيرة أضحكتني، أتخيل المزيج السبانيخي ينفخ عضلات انكسارك، لتنتصبي في وجهه كفولترون..!!.

وتنطلقي خلف جبنه كخماسي..

وتنتفضي على تخاذله كالكابتن ماجد..

وتلتفي بإعصار على جبروته كالقناع..

وتوقعي بقبضتك على ظلمه كتور..

وتهدي جبال تكبره كدراغون بول..

وتراوغي هجومه بخفة نمر كالرجل المستحيل..

وتحققي في جرائمه وسوابقه العشقية ككونان..

وتسرقي زهوه بالنصر كأرسين لوبين..

وتفوزي بأنوثة بكل القلوب ككوزيت ..

وتغلبي القهر واليتم الذي خلفه انسحابه بطيبتك كسالي ..

وتروضي كل الدروب بإصرار متفائل كرِيمي..

وتقطعي جبال "البريني" بشجاعة كبيل وسيباستيان..

وتطفئي الحرائق ضد الطبيعة كالتنين الصغير..

وتنطلقي في البراري بأحرفك الصارخة بالحياة كإميلي..

وتعيشي الحنين إلى الطفولة وأيام الدراسة كأخي العزيز..

وتحققي الأخلاق العادلة كالنمر المقنع..

وتكسبي الحب من صاحب الظل الطويل كجودي أبوت...

وتصوني الصداقة كعهد الأصدقاء..

وتعلمي أجيالا كصفاء في لحن الحياة..

وتجوبي العالم كالرحالة الصغير..

وتسأليه بصوت سيمبا وطارق العربي طرقان :

"هل شاهدتم ذئبا في البراري يأكل أخاه؟، هل شاهدتم يوما، كلبا عض يدا ترعاه؟، هل شاهدتم فيلا يكذب، يسرق، يشهد زورا، ينكر حقا، يفشي سرا، يمشي مغرورا بأذاه؟!!".

الليل بدأ يلعب بعقلي ..

لم أعتد سهره بعد أن شبعت نوما..

صرت أهلوس!!.

هيا إضحكي ونامي بأمان يا صغيرة..
ليس من شيمي الاِستسلام لعاصفة الفراق..
هذه العواصف أتغذى بها لأتقوى.. لأكبر..
لأصبح إعصارا يقتلع جذور قبيلته من تاريخي..
لن أسمح لأي مغادر بإرادة منه وبلا خطإ مني، أن يقزم وجودي في قدميه..
إن ثبتا في حدودي أعيش، وإن غادرتا أموت!.
عليه التب!.
وعلى قلبي العته!.
سأمحي آثار أقدامه من مملكتي ..
وأدمر أي أدلة لمروره ولو شكا في شبهه..
قال العرب قديما "النصر صبر ساعة"!!.
كان عليك وأنت تدفنينه مع بقاياه، أن تصبري للحظات الاختناق..
فذاك ليس موتا ..
إنما بداية للانسلاخ والانعتاق والتحرر ..
لأن منطق الطب كما الحب، لا يقبل بالِتحام عضو ميت بآخر حي..
فالبتر مآل الميت..
وهو بتر من الحياة واِنتهى!.
كل راحل طوعا، يروق لي جدا أن أقوم لأجله بحفل وداع بهيج ..
أدعو فيه كل لحظاته الثمينة، أجمعها في علبة المغادرة خاصته، ليصطحبها معه.
فما عاد لا وجودها ولا وجوده.. يغنياني أو يعنياني..
إن تركتها.. ستكون كبريتا يشعل حنيني، ويقض مضجع ذكرياتي..

لذلك أعلبها من أجله لتكون كبريته الخاص!.

عندما تقفلين كتاب نهايته..

أغلقيه بإحكام..

واتركيني داخله..

لأنقل لك الدمار الذي خلفته فيه..

لا تعتقدي أن الحزن وحدك فريسته؟!.

مطلقا عزيزتي ..

إنه يغتاله!!.

إنه يموت حيا!!.

ليدفن ثم يعود من جديد كعقاب سيزيفي، دون أي أمل في إطلاق سراح مشروط أو إفراج بالإعدام من عقابه الشاق!!.

دعيني فقط أعد لك أعقاب سجائره المحترقة كقلبه ورئتيه..

لتكتشفي عشقه المازوشي للموت..

دعيني أستمتع بالنار التي تركتها أناقة تقبلك لرحيله في أحشائه..

أتعتقدين أنه ينفث دخان سجائره؟!.

مطلقا..!.

إنه دخان حريق ناشب في عمق غروره الذكوري..

ومخافة أن يفتضح أمام الناس..

يدمن السجائر كي يخفي آثار الدمار الذي أورثه إياه كبرياؤك، وأنت تتقبلين برقي اِنسحابه الجبان..

لا تشفقي عليه، فتعودي لفتح الكتاب لإطلاق سراحي..

فقط دعيني هناك بين الحطام..

أنفث في عطرك الساكن في خياشيمه كي يشتعل..

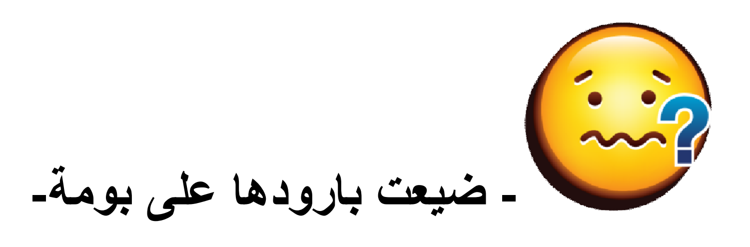
حتى يظل جمر ندمه مشتعلا..

ويظل قلبه محترقا إلى الأبد..

هنيئا لي..

لم أعرف أني شريرة إلا الآن!!.





- ضيعت بارودها على بومة-

شغلتها الواجهات البراقة عمن سواها..كانت في قمة البهجة ويداها تعانق ذراع شريك حياتها..

هي ذكرى زواجهما الرابعة..

بكل ما تموج به الدنيا من فرح، كانت تطير على جناحيه بابتهاج..

اِسترقت النظر إلى الواجهات، علها تعثر على هدية مميزة، تناسب عشقها للوسيم فارع القامة الذي تتأبط قلبه وكله..

فجأة لمحت ثنائيا متوقفا قبالتها..

الرجل يحدق بها صدمة، وكأنه يعرفها!.

لم تكترث، عادت بسرعة للواجهات بعد أن لمحت معطفا بنيا طويلا بياقة أنيقة..

سيعكس بحب عسل عيون زوجها الحلوتين..يبدو مناسبا له..

سيحمي قامته حتى أسفل ركبتيه من برد الشتاء القادم..

كلما شعر بالبرد، شده ليضمها إليه في بطانة المعطف الداخلية..

وارتداها دفئا لتواجه عنه القر والمطر والرعد والبرق والبَرَد..

قفزت إلى ذاكرتها عينا الرجل ذي النظرة المصدومة..

بدا كصورة ضبابية تشق طريقها بصعوبة في مرتفعات ذاكرتها..

ذهلت!.. استدارت لتتأكد..

وجدته في نفس صدمته..

غير مكترث بمشاعر السيدة التي ترافقه..

ولا بالمارة الذين يعبرونه بأكتافهم..

فقط مشاعر وحشية تغزو ملامحه الشاحبة، التي لم تميز فيها غير عينيه الكئيبتين!!.

لم تدم اِستدارتها طويلا..

عادت سريعا إلى حبيبها، وهي تجره ليدلفا إلى المتجر لأخذ انطباعه عن المعطف - بشكل غير مباشر- لتفاجئه به لاحقا..

سرح ذهنها في الماضي البعيد..

عجبا..!!

أليس هو المتجبر الذي تركها قبل أشهر من عقد قرانهما؟!!.

أليس الجبان الذي تخلى عنها دون تبرير أو زلة تذكر؟!!.

أليس ذاك الذي ألقى بها من السماء السابعة.. التي كانت تحلق فيها حبا.. دون سابق إنذار أو مظلة أمان؟!!.

أليس من تولى عن مواجهتها، واختبأ خلف شاشة حاسوبه ليصعقها بقراره الفردي بالانسحاب!!.

أهذا الشبح الكئيب الميت هو من أحال - في وقت ما- حياتها إلى عذاب؟!!.

كم أنفقت عليه من حزن..!

كم أسرفت عليه سنين عمرها الحلوة..!

كم ذرفت عليه من دمع..!

كم أرقت من ليال بشوقها الدامي له..!

كم اِحترقت على لهيب جبنه وشماتة خذلانه..!

كم اكتشفت اليوم، أنها ضيعت بارودها الثمين على بومة!!.
كم كانت غبية وهي تبكيه!!.

كم كانت متشائمة وهي تندب الحب والحظ اللذين توقفا عنده..!

لم تعرف أنهما عثرا عليها فقط، بعدما غادرها!!.

كم رغبت في التقدم إليه وشكره..

لأنه بانسحابه الصامت سمح لها أن تعرف الحب والرجل الحقيقيين..!!.

اليوم هي أسعد النساء لأن الله اِختار لها الأنسب ..

وكان نصيبها الأجدر والأفضل..

كلها فرح وغبطة أن الحب الخالص عثر عليها..
أيقظها دفء كف زوجها، لما حطت بحنان على ذقنها، ليوقف سرحانها وهو يسألها بحب:

"لم عيوني بها سحابة سهو؟"..

ابتسمت له، ووجهها يصحو في حضرة حنانه وحبه، ويشرق نعمة وشكرا، وهي تغمغم :

"لا تشغل بالك روحي، هي سحابة صيف غابرة عابرة!!".

عزيزتي حواء، لا توقفي حياتك عند رجل تركك..

اِبكيه لوقت وانسيه..

لأنه ليس الأنسب لك..

ليس الأجدر بك..

ليس نصيبك..

الله يدخر لك الأفضل..

فقري عينا واطمئني..

ردّدي دوما :

"اللهم اختر لي ولا تخيرني".

اللهم اختر لي ولا تخيرني، فأنت خير من يختار
يمنع الله عنك ما تريد، ليعطيك ما تحتاج

وليلي









 - أرملة شهيد -

أنتظرك هناك..

على محطة القطار العاجة بالزوار..

كل وَفِي لوجهته وتوقيته، إلا أنت..

وجهتك أنا..

لكن بوصلتك أهملتها..

توقيتك اِنتظاري..

لكن ساعتك تائهة عنه..

حفظت الوجوه الوافدة والمغادرة..

وحفظتني..

وقعت معي نظرة شفقة ومواساة، أملأ بها جرة اِنتظاري التي اغتنت..

أمل قدومك زادي وعتادي..

أمُني بهما صبري كل صباح ..

وأبتسم لأشعة الشمس..

كي ترسم على خدي قبلة بشائر إطلاق سراح غيابك..

أعرف أنك قادم..

أعرف أن سنواتي التي أنفقتها أملا في عودتك، لن تضيع سدى..

كل أشيائك معلبة بلا تلف في ذاكرتي..

رائحتك معتقة في قبو شوقي إليك..

لن تفتر رائحتها، مهما تقادم عليها العمر..

رسائلك كلها محفوظة في صندوق الأمانات، كأغلى ممتلكاتي..

لن ينجحوا في إقناعي أن الذي قدم في تابوت بني وكفن أبيض..هو أنت!!.

بابتسامة خفيفة..

وشحوب أبيض..

وثقب في الجبين..

كلا !..أنت غادرتني متوردا بالحياة..

وجبينك يحمل أحلام مستقبلنا معا..

ضاحكا بحب..

واعدا إياي، أنك ستعود من الدفاع عن أرضنا من أجلي..

وعدتني أننا سننتصر.. لأننا أصحاب حق..

لذلك لن يقنعوني.. أن الهاجع في قبر يحمل اسمك.. هو أنت!!.

أنت لم تعد بعد..

لا زلت تحارب كالأبطال..

لن تترك أرضك وأنا..

سأنتظرك على أرضنا..

لأنك ستعود إلي وإليها..

مرت السنوات ولم تعد..

مرهقة الجفن..

أقاومه كي لا يسدل، فتسدل معه نهاية عشقك لي..

شاحبة الذاكرة..

أستعيد صورك بجنون، حتى لا تضيع مني ملامحك تحت وطأة منطق التقادم..

مخدرة الجسد..

أوضب زينتي كل صباح، كي لا تفاجئني وأنا مبعثرة دونك..

فأصبحت أستيقظ منك كل ليلة، لأعيش فيك صباحا..

لا أنا قادرة على تذكر أحلامي معك..

ولا أنا قادرة على إيجاد نبض للحياة في قلبك..

كالعتمة حنيني..

أتعثر بمتعلقاتك المتناثرة في ذاكرتي ..

أعرف كل واحدة من رائحة غبارها..

لم أغير شيئا..

كما تركتني..

تركتها..

كل مرة أراوغها بعدما تسألني عنك..

أريدها أن تحافظ على ولائها لك..

ألا تعرض نفسها في مزاد علني..

لا أريدها أن تفجع بك كفجيعتي..

أريدها أن تستعرض بهاءك بنبض..

أريدها أن تعيش بأمل، أنها قد تتوسدك وتحتضنك يوما..

فالعيش بالأمل حياة..والحياة بلا أمل موت بطيء الخطى ..لا يعرفه إلا من اختبر الحزن المقطر من جوف اليأس.

أرتدي كل يوم وحشتي التعيسة.. أشد ثوبي المطرز ببصمات لمساتك الدافئة في قلبي وجوانحي ..

لا أريدها أن تغادرني كما فعلت..

لم أفتح نوافذي..

مخافة أن تهرب ابتساماتك المعلقة على الجدران..

وتغيب مثلك..

لم أنظف السرير..

مخافة أن تفر رائحتك إلى بائع عطور، فيبيعك في قارورة معتقة..

لم أشعل الأنوار..

أخاف أن تسقط سطوتك علي، دون أن تنتصب واقفة من جديد..

لم أغسل جبهتي..

لأنها ما زالت تحتفظ بدفء شفتيك وأنت مغادر..

أتسكع في البيت وحدي، مع خيوط العنكبوت التي تلفني كجثة محنطة..

ترفض أن تغادر مدفنك وتتفسخ..

أجر أذيال وعد قطعته لي: أنك لن تتركني ماحييت...

وفي عتي الشباب وأوج الحب تركتني...

لا ماعاد الله أن يخلف الحر وعده!.

لم تتركني..

بل اغتالوك مني...

اقتنصوك عنوة عني.. برصاصة في الجبين..

ليقتلوا البريق في شفاهي..

ليتركوني أرملة شابة، ألوك حزني وأقتات به في قلعتي المغلقة مع ذكراك.
إلى كل الأرملات الموجوعات بالتقتيل والاغتيال، قلوبنا معكن.

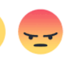
إفران

أحكي للعالم أحكي له، عن بيت كسروا قنديله،
عن فأس قتلت زنبقة، وحريق أودى بجديلة
سميح القاسم











-"ليكا" شعلة الذهب-

بالحديث عن الوفاء، طبعا لا نتحدث عن البشر..لأنه ليس هناك أوفى من الكلاب..يجدر بنا التعلم من الحيوانات كما الغراب في الدفن.

كلما هممت بالتحدث عن الكلاب، تذكرت كلبتنا "ليكا" تلك الشعلة بلون الذهب.. أحضرها والدي من بيت جدي في أقاصي الغابة "ركدي"، لتكون "رجلنا" في غيابه.. في بيتنا القروي المتذيل لمنازل قريتنا المعازيز(قرية تابعة لإقليم الخميسات)، المطل على منحدر في أسفله بئر نسميه"بئر الجماعة"، وحقول زراعية تمتد إلى وادي "تانوبارت" المؤثث بأشجار الكاليبتوس الباسقة والصنوبر، كما أن الدفلى ذات الورود المبهجة - والرائحة غير الطيبة- تضيف جمالية أخاذة، لها وظيفة أخرى كباقي النباتات الطويلة بأغصان مرنة، يستغلون في نشر غسيل السكان من ملابس وأغطية تنظف بهجة وسرورا في الوادي.

وأنت تطل من بيتنا، تخال نفسك أمام لوحة طبيعية رائعة، تتراقص في أفقها هضاب وسهول متماوجة بانسياب ونعومة، خلفها مباشرة تشرق الشمس وتغيب!. كم كان يطيب لي توديعها مساءا، لأضرب موعدا لأشعتها الدافئة تمام الصباح الباكر!.

بيتنا القروي عبارة عن غرفتين كبيرتين – إحداهما للضيوف والثانية نصفها مطبخ والنصف الثاني مهجعنا- يتوسطهما فناء أول صغير يحده باب المنزل الرسمي لتخرج إلى فناء أوسع، على يمينه تقع حظيرة مواشينا لتجد الباب الكبير المصنوع من العيدان والقصدير، حوافه متماسكة بجدار يدوي من أغصان الأشجاروالقصب.

ذات نهاية أسبوع كان والدي رفقتنا، سمعت أمي نباح" ليكا" يهز سكون الليل..

لم تتهاون، خرجت من غرفة الضيوف بمصباحها اليدوي لتستطلع..

ومباشرة في الفناء، وقع ضوء المصباح على أفعى زاحفة بيضاء بصفرة وذيل قصير، كانت متوترة وتبحث عن مكان تدلف إليه..!!.

وذكاء ليكا واستشعارها للخطر، كانا حائلين لانسلال الأفعى إلى إخوتي وغرفتي، حيث يقبع فراشي يسار بابها ذي ارتفاع يسمح بمرور قطة فكيف بأفعى؟!،

لو عبرت، لدست نفسها في فراشي وسمها في أوصالي..

لكن بطلتي كانت لها بالمرصاد، ووالدي صياد الثعابين والافاعي، فتك بها بضربة من حذائه العسكري-الذي ارتداه على عجل- بعد علمه بوجود الأفعى المتلصصة..

لم نعرف من تلك الحادثة إلا ما رواه لنا والدي، وماروته جثتها المشوهة الرأس، التي لعبنا وشهرنا بها لتجرئها على بيتنا..

في الليالي الشتوية الطويلة كانت السادسة مساء ضاربة في عمق الظلمة الحالكة، أزقتنا غير موصولة بالأعمدة الكهربائية، فقط الشارع الرئيسي الذي يفصل قريتنا إلى شطرين، فكان القمر دليلنا والنجوم..

عند قدومي من الإعدادية التي تبعد عنا مسافة تقارب الكيلومترين، أتجاوز السادسة بعشرين دقيقة أخرى قبل أن أصل لبيتي..

أتوقف دوما عند مقدمة زنقتي، ألقي زفيرا عميقا من الخوف، وأملأ صدري بشهيق من الشجاعة كي أستطيع التوغل حفظا في ذلك الظلام الدامس، لا أحس بالأمان والثقة إلا حينما تحتك كتلة من الفرو بأرجلي، وأسمع صوتها المكتوم الفرح باستقبالي..

كأنها تشعر بضياعي في الظلام..

كأنها تعرف احتياجي لمن يقوي شكيمتي في قهر الخوف والظلمة..

تزداد ثقتي في نفسي، وأختال اطمئنانا وكأنني"سيباستيان"مع كلبه الوفي "بيل".

كل أحد، أستيقظ مبكرا لملء البرميل بمياه البئر، أنقلها في سطلين متوسطي الحجم، لأنه في الصباح الباكر تكون مياه البئر أكثر غزارة ونظافة ..

أنزل المنحدر بخفة ورشاقة، وأصعده مثقلة أجر رجلي النحيلتين، لا يلهيني عن ذاك التعب إلا مخيلتي الخصبة، التي تسابق أقدامي في نسج قصص خيالية أعيشها بهجة وكأنها تحدث بالفعل..

وأثناء صعود منقطع الأنفاس، رأيت "ليكا" تسابق الريح وفمها ممتلئ ببقايا الدجاج، التي يجلبها أخي -كل يوم "أحد" موعد سوقنا الأسبوعي- من خالي الجزار..

تركت سطلي في أعلى المنحدر، وسابقت فضولا ركض ليكا..

تجمدت من الدهشة وامتلأت عيناي حبا ودمعا..

رأيتها تدخل باب بيت جدي المجاور- الذي رحل من أقصاء الغابة إلى جوارنا-

لتضع حمولتها من الأكل تحت أقدام الكلب العجوز "موريس"..رفيقها عندما كانت عند جدي!!.

والمذهل احتكت برأسه بحنان وكأنها تعانقه، لتعود مسرعة من حيث جاءت!.

تسمرت من روعة ما عاينت، وركضت بدوري أخبر أسرتي بعشق ليكتي ووفائها!!.

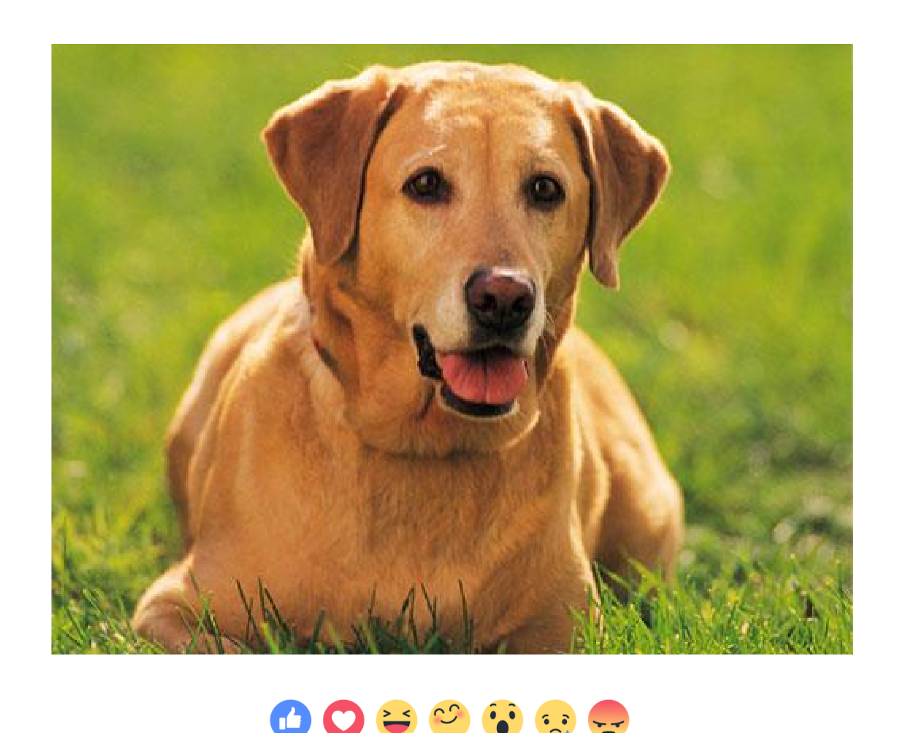
ومرة، ضبطتها تدفن الاحتياطي من بقايا الدجاج تحت أكوام التبن، وكأنها تدخره لباقي الأيام الفقيرة!!.

وفي أول ولادة لها..

كان يوم بهجة عندنا، طبخت لها أمي "الرفيسة" ببقايا الدجاج..

صنعنا لها بيتا كرطونيا احتواها وأطفالها من قر البرد.. لأنها كانت مدللتنا..

لم يكن أحد الغرباء يجرؤ على الاِقتراب منا في وجودها، كم أفشلت من محاولات اللصوص الوافدين على قريتنا لسرقة قطيعنا..



في بداياتها عندنا، هجمت ذات غذاء على اللحم المخصص لوجبتنا والتهمته، لتضبطها أمي متلبسة...

صرخت فيها وطلبت منها المغادرة، والعجيب أنها فعلت!.

انسحبت بأنين وذيلها منثن داخل قائمتيها الخلفيتين، ورأسها مطأطأ أرضا، وكأنها فهمت توبيخ أمي وغضبها..

ركضت سريعا في المنحدر لتختفي في أشجار الوادي..

اختفت طيلة اليوم..

وفي المساء، شعرنا بالقلق لغيابها الطويل، لمحت الندم على ملامح أمي..وقفت وإياها على عتبة بيتنا نراقب الحقول والوادي..

نراقبها علها تعود..

ومن بعيد، لمحنا كتلة بنية ضائعة مهزومة الخطوات..

نادتها أمي بصوتها الصداح : "ليكا"!!.

انتصبت قامتها وذيلها، قبل أن تقطع تلك المسافة جريا وهي تقفز فرحا وسعادة...

حبها لي كان يشعرني بالثقة، لدرجة كانت تداعب يدي بأنيابها دون أن أشك لحظة أنها قد تؤذيني..ذات مرة دخلت المنزل مسرعة، لم أنتبه لها لاستغراقها الشديد في النوم، وسهوا دست على ذيلها، وبردة فعل حيوانية فورية لألمها أطبقت بفكها على رجلي، فاجأتني..تجمدت دون حراك، رغم مباغتتي لها، لم تغرس أنيابها في لحمي، بل فقط ظلت ممسكة بي وهي تئن، لتطلق سراحي وهي تلاعبني.

ماعدت أستطيع تسميتها كلبة، فسلوكها ومشاعرها فاقا التصور والاسم!.

جاء موعد رحيلنا من القرية، وكما سحبوا مني سابقا جَدْيَتِي "حْمِيقَة"، حرموني من "ليكتي"..رفض والدي مرافقتها لنا لمنزلنا الجديد في المدينة، بدعوى أن مكانها هنا في البراري، قرب "موريس"..

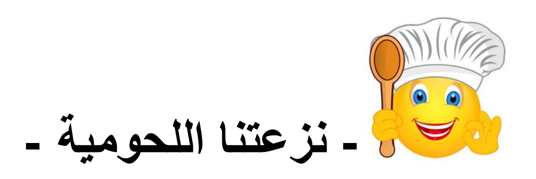
غادرنا وتركناها عند جدي، لكن موريس العجوز لم يستطع سلوها عنا..

أخبرتني جدتي فيما بعد، أنها رفضت الأكل وانسحبت من الحياة بكآبة، لتموت بعد أشهرقليلة من مغادرتنا!!.

استعيد ذكراها دوما ببكاء وحنين، كلما تذكرناها في مجلسنا نقول ليكا رحمها الله، وكأنها فرد من أسرتنا، دون أن نعرف هل يجوز الترحم على كلب؟!.

اليوم فقط، وجدت الشجاعة لأحكي حجم خسارتي لليكا شعلة الذهب..

لن أنسى إنسانيتها التي فاقت بعض البشر اليوم ماحييت!.



- نزعتنا اللحومية -

نحن شعب مولوع بأكل أحشاء أضحياته حتى النخاع..

في اليوم الأول من عيد الأضحى، نتفنن بأكل "الكبدة" و"القلب" الملفوفين في شحم الأضحية "بولفاف"، وشيها في قطبان معدنية فوق"المجمر" الموقد بالفاخر"الفحم".. وتحضير طبق "التقلية" المكون من الأحشاء والمصارين والرئة وباقي الشوائب..

ويحتفظ بالرأس والكوارع "المشوطين" للأيام القادمة..

الرأس لطبق "الكسكس"، و"الكوارع" لطبق الحمص"الهركمة"..

بل حتى "المخ" لا يسلم منا.. نطبخه مع البيض!!.

أما العظام المتبقية من اللحم المخصص للكفتة والقطبان، نحتفظ بها لوجبات

"الحريرة" أو القطاني ك"العدس" و"اللوبيا"..

المهم ألا شيء يضيع!.

هناك من يصنع وجبات تدوم لمدة طويلة ك"المروزية" أو "الخليع"، الذين تتركز فيهما ذهون الشحم وقطع اللحم، الفرق أن "المروزية" بلحم الرقبة وعظامها وتوابل حلوة خاصة مع فواكه جافة..

أما "الخليع" فيحضر بشحم الكلي ولحم مزال العظام مع نكهات خفيفة للتوابل، وأثناء تناوله يمزج بالبيض ليصبح وجبة شهية لفطور أو لمجة، تدوم الوجبتان أياما وشهورا..

وهناك عشاق اللحم المقدد "الكديد والكرداس"..مع اختلاف حسب خصوصية وطقوس كل مدينة مغربية أو عربية على حدة.

أذكر مرة كنا في وفد وزاري في مدينة "زاكورة"..

وقت وجبة الغذاء، انغمست في الحديث مع زميلة رفيقة المائدة، في حديث ذي شجون لم أنتبه معه لوضع الطبق..

استدرت بعد المناداة علينا للبدء بوجبتنا.. لينتفض جسدي ذعرا أضحك الجالسين!!.

لم أكترث، كنت منشغلة بالارتجافة التي شلت قلبي وأنا أراقب الخروف المشوي بجثته كاملة، ورأسه في اتجاهي جاحظ العينين يكز على لسانه بأسنانه.. وكأنه يكتم صرخته عنهم، ليفجرها في عيوني المذهولة!!.

كانت لوحة مرعبة لم تثر شهيتي مطلقا..

لم أستطع أكل شيء منه قط..

وفي حادثة ليست ببعيدة عن هذه، كنت أنظف الدجاج من الشوائب - في الغالب أتسوق الدجاج مقطعا- هذه المرة، أحضرته دون تجزيء، طفلي ذو الأربع سنوات جزع وسألني:

" من قتل المسكينة"؟!!.

أربكني سؤاله، لم تسعفني بديهتي في جواب يهدئ من روعه سوى قولي :

" إنه الدجاج الذي نأكله"!.

رفض عقله الصغير استيعاب أن تلك الدجاجة، هي نفسها القطع اللذيذة التي يعشقها..وأضفت بحرج مرح:

-" سأنظفه وأطبخه لنأكله"..

تراجع مذعورا للوراء رافضا بسبابته:

-"كلا لن آكلها"...

جعلني أشعر كم أنا متوحشة!!.

مرة ساعدت صديقتي في مناسبة زواج أختها في تنظيف الدجاج..أعطتني دجاجة لأبدأ أول مهمة لي في التقطيع في حياتي..سابقا كنت أجبن من أن أفعل..

كنت أرتجف وصديقتي تضحك، وهي تشير لي بخبرة إلى أماكن المفاصل حيث يمكن التقطيع دون الاصطدام بعظم..

وفعلت..

صحيح أنني لم أتقن العملية..

لكن بخوف مبتدئة، حولتها إلى قطع مشوهة!!.

مع الوقت اكتسبت مهارة التقطيع..ومع ذلك لا زلت أتجنبه وأحضره قطعا جاهزة.

لأني أعاني فوبيا الخناجر..

أي موس أحمله في المطبخ لا يتجاوز حجم يدي.. ما دونه طولا يثير فزعي لا أكثر، ويجعل مخيلتي تسبح في أفلام هتشكوك والهالوين..

صادفت مرة فيديو لأربعة أشخاص يعتدون على ضحية بخناجر كالسيوف، والمسكين يصرخ طلبا النجدة..

ارتعبت لدرجة لم أكف عن التقيؤ والإسهال رعبا..

أما كبش العيد فلقصته حديث آخر..

أطفالي لم يشعروا بألفة مع الكبش قيد حياته، بل بخوف وتوارٍ عنه..

وعندما تمت طقوس الأضحية، وجدوا جثته معلقة سارعوا لسؤالي:

" أين الكبش؟" هل ترك لنا اللحم نأكله وغادر؟!!.

راق لي تفسيرهم وأنقذني من جواب غير حاضر..

أكدته بضحكة تخفي حقيقة كوننا آكلي لحوم من الطراز المتوحش!!.

نعشق الدخان ورائحة الِاحتراق..

لو رأيتموني وأنا ممسكة بالشواية، أصارع كثبان الدخان.. لما صدقتم أني صاحبة تلك الأحرف!!.

فلأنانيتنا ووحشيتنا اللاحمة نصيب..

فالحمد لله على تحليله المبارك لنا..

لست أعشق الشواء فقط، بل يجري الدخان مع الدم في عروقي..

مرة كنت وصديقتي عائدتين من الجامعة..

وفي شارع السويقة بالرباط، وصلت إلى خياشيمي رائحة الشواء، مججتها باستنشاق طويل، كأني أريد أن أملأ بها رِئتي وأتخم معدتي وأخبئ القليل في بنكرياسي والربع في جيوبي الأنفية والثلث في قلبي!!.

لشدة ما استفزت تلك الرائحة جوعي، رغبت بفعل ذلك كله!!.

بحسرة أخبرت صديقتي:

"كم اشتقت للشواء"!!.

وطبعا الجامعة نحن الطبقة المتوسطة نمضيها على فقر..

نتفوق على فقر، نستمر على فقر، ونأكل على فقر..

صديقتي دوما خفيفة الظل وسريعة البديهة وبملامح جادة أجابتني فورا:

"إيوا صافي..ها العيد قريب"!!.

حدقت فيها بدهشة، وكأن العيد غدا مع أنه مر بأربعة أشهر فقط...!!!

الخبيثة.. تمني نفسي بترقب 8 أشهر!!.

تلاقت أعيننا قبل أن ننفجر في ضحك عاصف، أشبعنا الشواء شما دون اِستطعامه في فمنا ذوبانا..

آه نعم ذوبان...

تعرفون متعته وهو يذوب، وأنتم تمسحون أطراف فمكم لإخفاء مائه ودسمه..

وعلى ذكر هذا..كنت ونفس صديقتي السابقة وصديقتنا الثالثة عائدات من حصة رياضية بغابة "هلتون" بالرباط، وطبعا كنا على "الدص" كالعادة وبجيوب فارغة..

تعبنا واشتد جوعنا، وفي جيب إحدانا يقبع درهم يتيم اشترينا به "كوميرا"خبز طويل وقسمناه ثلاثتنا.. طبعا وحده حاف، وصديقتي المرحة كي تلقي لمسة غنية على الفقر الذي نتناوله، صارت تمسح أطراف فمها بمنديل، وكأنه ملطخ بدسم باذخ لشواء..

أذكر ضحكنا حد البكاء، السعادة التي عشناها فقرا.. لم نشعر بها بتاتا ونحن في رخاء وعلى مائدة ممتلئة عن آخرها...

سأتوقف هنا وإلا سأجدني أحكي كل تاريخي!!.





- تعرقُ دماغي بالخجل-

في مدينتي الجديدة طنجة، رغبت التسجيل في ناد رياضي نسوي، كي أستعيد رشاقتي التي ضاعت مني بعد الولادة..

وبتشجيع من زوجي، حتى أختلط اجتماعيا بنساء بآفاق مختلفة، وأكسر وحدتي و غربتي داخل مدينة لا تحمل أجزائي..

شحذت همتي وتسجلت في ناد..

كنت في قمة استعدادي لربط علاقات اجتماعية جديدة، استجابة لطبعي المتفتح الاجتماعي..

كنت حريصة على ضبط الوقت، بحكم أني مرضعة لا يجب أن تغيب عن طفلها لأكثر من ساعة ونصف..

ساعة للتدريب ونصف ساعة لتغيير الملابس وأخذ دش سريع..

كنت معتادة على النوادي الرياضية..لكن هذا لم أعرف له شبيها..

وكأنه عالم صغير داخل عالم كبير...

وجدت الفتيات- المستعدات لحصة رياضية- في ملابس وكأنهن في عرض أزياء مبهرج الألوان ، وببزات رياضية تبدو في أول خروج رسمي لها، كأنهن دمى الواجهات للمحلات الفاخرة!!.

لا يبدو أن تلك الملابس ستتعرق حتى العفن!!.. وتلك الخصلات المكوية بأناقة، ستقفز وتتبعثر حتى تتشوك.. كقنفذ استشعر خطرا قادما..

وستختلط الألوان على الوجوه، وتذوب الماسكرا لتظهر المسخرة في لوحة قوسقزحية متشابكة الخطوط، يشقها سيل أسود كشخصية "جوني ديب" في فيلم "الغراب"!..

وللغرابة!.

كنت الوحيدة المدججة بلباس واقعي، يتوقع السيل المتعرق للذهون المحترقة بنيران الجري والخطوات السريعة للقطار المكوكي الأيروبيكي، على السكة المهترئة لتنفسي المتقطع، الذي نال منه الخمول والكسل!!.

أما أحاديثهن، فتركت فاهي فاغرا، أتابع الحوار بين اثنتين ببلاهة جمهور التنس، لأنتقل كفراشة من ثنائي إلى آخر وآخر...

كل واحدة وهوسها..

تلك تتحدث عن حقيبتها المستوردة..

وهذه عن شراء نسخة نادرة لماركة عالمية لحذاء..

وتلك حجزت بزتها الرياضية من دولة ما..

وهذه عن قاعة الأعراس الخيالية التي ستقيم فيها زفافها..

و"الزيانة" الشهيرة التي ستتكلف بتجهيزها، و الممول العالمي والليموزين التي ستأتي بها ووو..

لكثرة الأحاديث والحماس الذي تبديه كل واحدة وهي تستعد للتباهي بمستجداتها!!.

لم أنتبه لمرور الوقت..

وعندما فعلت، وجدت ساعة كاملة قد مضت!!.

ياويلي!!.

استيقظي أيتها المستعدة لحرب عالمية رياضية لم تحدث!!.

مرت حصتي الأولى دون تعرق رياضي..

بل بتعرق دماغي خجلا، للسخف المتداول والتباهي النابع من جوع لنعمة أو كذب تفاخري، لإثبات مكانة اجتماعية اقتصادية يعجز فكرهن وعقولهن

عن إثباتها..

عدت أدراجي بنفس ملابسي.. وقلت بحسن ظن، ربما هي حصة بداية الأسبوع وكل واحدة جاءت بجديدها، سيختلف الأمر في الحصة القادمة!!.

فعلا كما توقعت تغيرت الحصة.. طبعا ليس بحسن ظن كما سلف وقدمت، بل لأسوأ!!.

وجدت النادي الرياضي تحول إلى سوق تجاري و قيسارية للبيع!!.

تلك أحضرت مجلة للأكسيسوارات النسائية مع طلبات للزبونة، ودفتر لتسجيل مقدم وباقي ومؤخر الصداق..عفوا باقي القرض.. على العموم أمْرٌ، ما وجدت له اسما!!..وأخرى تحمل مجلة للماكياج والعطور، تخبر الفتيات المتجمعات حولها بمضمونها..

تقدمت بدوري بفضول نسائي لأختلس نظرة، وبسرعة محترفة تمسكت بي

صاحبة العرض :

" تحتاجين لعطر تفضلي.. جربي"!.

نظرت إليها نظرة من تهين ذكائي، كيف أشم عطرا مصورا على ورق؟!.

مؤكد خبيرة بامتياز، فهمت نظرتي المستنكرة.. أدركت عدم اعتيادي على هذا النوع، فأمسكت يدي ووضعتها على سهم قرب قارورة العطر المصورة:

"حكي وشمي"..

وباستخفاف وكأني أستجيب لمعتوهة فعلت..

ولِعَتهي شممت الرائحة فعلا في أصبعي!. لا بد أنها تمازحني!.. أوألقت تعويذة سحرية على عقلي الباطني.. لأعتقد أني أشم رائحة ما!!.

لكن قطعا، تسربت الرائحة إلى داخل أنفي!!. اقتحم عبقها أوردتي كدوار..

توردتُ إحراجا، والكل يراقبها تشرح لي التقنية الجديدة للشركة، وكأني أكترث!.

أما كان حريا بي أن أظل أراقب من بعيد!!.

المهم أني تذكرت تفويت الحصة للمرة الثانية، فوجهت الحديث للمدربة المنغمسة معهن بأنني ملتزمة بوقت، ولا أرغب في تضييع المزيد منه.. نظرتهن إلي أكدت لي أني قادمة من اليابان!.

لأني تحدثت عن الوقت وأهميته، أدركت أني نشاز يشذ عن قاعدتهن المنفقة للوقت ببذخ مسرف، كإنفاقهن المال على توافه الأمور!!.

لم أستمر في ذلك النادي، بل لم أتم شهري حتى.. فضلت مقابلة الحاسوب في بيتي واتباع غرباء يتعرقون بجد، بدل اتباع هذه المخلوقات الغارقة في المظاهر حتى النخاع، والتي لا تشبهني في شيء.

الرماني

لا أستطيع الاقتراب كثيرا من الناس المدللين الفارغين، عاشقي المظاهر الاجتماعية، كثيري الثرثرة والضجيج، ولا أجد بيني وبينهم لغة مشتركة.

غادة السمان



-الفايسبوك والصيف-

كل الوافدين على العالم الأزرق الافتراضي، يؤثثونه بزياراتهم الصيفية للعالم الأزرق الحقيقي..

يأخذون استراحة من ملل..

ويستعرضون بهاء لحظتهم واسمرار بشرتهم في صور..

أتمنى أن لا يكونوا مثل جارتي المراهقة المقابلة لشرفتي..

تأخذ السمرة من سطح بيتهم، لتتحدث في الهاتف بصوت مرتفع إلى صديقاتها، أنها على شاطئ الأحلام!!.

لم تترك لي إلا ابتسامة وحسدا، لهمها الكبير في الحياة..

الكل يجول ويصول..

يوزع الصور هنا وهناك..

جيراني يستعرضون ملابس سباحتهم على حبل الغسيل..

وأنا في شرفتي وحدي..

أمج سيجارة فقر سياحي كاسحة لانتظاري وهباء أيامي..

كل الأيام متشابهة..

كلها آحاد...

إلا الجمعة!.

أعرفها بالصلاة وسورة الكهف ورائحة الكسكس!!.

لم أغادر مكاني ..

ما زرت بحرا ..

ولا امتطيت موجا ولو كذبا، لآخذ صورة تغيظ رواد العالم الإِفتراضي!!.

ولا زرت مدينة الملاهي...

لأني لم أشأ أن أقض مضجعك..

أعرف أنها عطلتك الفراغاتية لتتسكع في أوردتي..

وتضع أعلامك على قمتي الافرستية القلبية، لتعلن احتلالا يتجدد صيفا وراء صيف..

فتكمل رحلتك لتزور باقي القلاع..

تحقن داخل جبيني بهرمون تذكرك..وكأني نسيتك؟!.

تمضي السنة، وأنا أجتر ببؤس ذكراك..

تعمدتَ اختيار التوقيت الصيفي لتركي..

ضبطت ساعة رحيلك على عطلتي، لتشمها بالفجيعة والحزن ..

تعرف أني أضعف من أن أقاوم..

عليك التب!..

سأكسر قبضتي المتوترة في غرورك!.

هيت لي!.

رفقا !!.

إنه في منعرج الضلع الأعوج الذي خرجت منه..

يزوره، ينظفه ، يذكرني أني منه وإليه..

رفقا..!

سأجلس مستوية جدا، وبهدوء جدا..

كي لا أسحقك.. !!.

عطلتي أمضيتها في الرحيل خلفك داخلي.. زادي فوطتي أمسح بها عرق تجوالك في أحشائي..

إهدأ إنه منتصف الليل.. موعد نومك..

سأفتح عيوني كي أحرسك..

سأخفف من حدة التيار الزاحف لرئتي، كي لا أوقظك!.

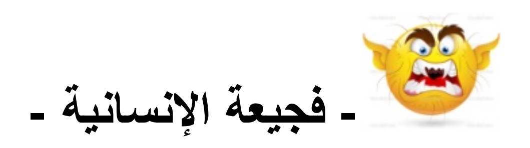
أنت عملي.. وعطلتي..

لا أعرف كيف سأصورك، لأتبجح على الفايسبوك برحلاتك السياحية في شراييني!!.

لا نصيحة عندي، فهذه مغفلة من نوع ميؤوس منه!!.





 - فجيعة الإنسانية -

تمكنت منا الأنانية وحب الذات والشهوات، لدرجة أصبح البعض منا لا يقدم شيئا لغيره، فقد اكتسحت الفردانية السلوك وابتلعت الأخضر واليابس..

وبكل وقاحة، يصنف الكثيرون أنفسهم ضمن السدة العالية الحامية للأخلاق والدين..

بل وبنفاق أشد، يدعون الله لمكاسب أكثر، ويتذمرون إن لم يستجب لهم..

العالم اليوم اضطرب الخير فيه..

وهجنت ذرات الحب وزورت..

بل إن خطاب الله سبحانه وتعالى يؤول حسب كل شخص، ووفق مصالحه واحتياجاته.

الطرف الخير يطلب الله أن ينصره على الطرف الشرير..

والطرف الشرير أيضا يدعو الله أن ينصره على الطرف الخير..

الغارق حتى أذنيه في الحرام يقول بورع: هذا من فضل ربي!!.

وذاك تحت اسم أرقى الأديان بأخلاقه وتسامحه، ينصب نفسه سيفا دينيا يقطع الرقاب ويجرم ويكفر من يشاء، ويمنح الجنة لمن يشاء، ويتوعد بالجحيم من يشاء!!؟.

في تطاول سافر على مُلك الله سبحانه وتعالى مع خلقه...

هو الوحيد الذي سيحاسبنا عن أفعالنا وخطايانا، والوحيد الذي يقرر أصحاب الجنة من غيرهم..
اليوم يزرعون الشر والقنابل، وبغباء ينتظرون غدا، حصاد الحب والسنابل..

يقدمون كل سيء و يتوقعون كل جيد..
ضعنا وضاعت معنا إنسانيتنا..

استهترنا بالدين باتبعنا البدع، ونسينا الأصل : القرآن وسنة رسولنا الكريم..

أخلاقنا الدينية مفتاحنا السحري.. نفتح به قلوبنا وقلوب الآخرين للطيبة، ونفتح به أبواب الدنيا والآخرة سواء..لكن للأسف أضعناه في الطائفية والفهم المتشدد والجلد الهدام غير البناء.

في هذا الوقت، ماعاد يكفينا الصمت..

الصمت وشمنا نحن العرب بالذلة..

صمتنا سمح للأوباش بالتطاول..

سمح للطفيليات بالتكاثر..

صمتنا كتم التمرد داخلنا..

وجعلنا نتابع كل الخطايا كشيطان أخرس..

صمتنا كبل أفواهنا وتركنا في مشاهدة عاجزة لموت عروبتنا وتقتيلها، دون أن تخرج أي صرخة من أعماقنا!!.

لأننا أجدنا الصمت ومجدناه وقدمنا له الولاء!!.

صمتنا المخجل والمُذل، ألقى بنا على الهامش نلوك مجدا كان..

نتحسر على وقت كنا فيه نزأر وننشر الهيبة كي لا نُنهش..

اليوم بصمتنا نُهشنا..

بصمتنا شُوهنا..

لدرجة أصبحنا مضرب المثل في المظاهرات العالمية..

"لسنا عربا كي نُقتل ونصمت"!!.

تبا لعروبتنا !!.

ماذا ننتظر أذل!!.

اليوم يبترون أجزاءنا..بعضنا ..وكلنا..

وعيوننا تدور في محاجرها..

دون أن ترف..

أو تجحظ اِعتراضا..

اليوم اليهود الصهاينة يتبجحون بقيادة ناجحة لقطيع مسالم اسمه: العرب..

الحقيقة موجعة...

لكني أخبركم يا من تتباهون بقيادة القطيع!!.

ليس الكل سواء!!.

ليست كل عربية ومسلمة عارية!!.

ليست كل عربية تتبع موضتكم الحمقاء المدمرة، وتتباهى بالحرية الجنسية والعقائدية!!.

ليست كل الأسر غافلة عن لعبتكم القذرة!!.

نحاربكم مع أطفالنا ونغتال ألعابكم التافهة، ونزرع الثقة والحب والافتخار بعروبتنا في جينات أطفالنا، دون أن تدركوا...

استمروا في زهوكم وتفاخركم بقيادة القطيع...

فهنالك نخبة صامتة تهدم بدعكم التدميرية في صمت!!.

كل واحد منا مسؤول عن أسرته..

وكل ذي فكر يحمي رعيته من اكتساحكم المفضوح..

لن تنجحوا في اقتحام غير بيوت العنكبوت..

أما المتمكنون من الفكر المنطقي والدين السليم، فأنتم مجرد زبد بحر يرعب لكثفاته وعندما تمسكه.. تمسك لا شيء!!.

ماعدت أرغب بالصمت..

ماعدت أرغب في الخضوع..

أرفض الاستسلام للتيار الزاحف..

لن يغرقني..

سأقاوم بشراسة، فلست من هواة النكوص..

سأستمر في الصراخ..

اِسمعوني أو لا تفعلوا!!.

قولوا عني مجنونة أو متهورة!!.

لكني ببساطة: سأظل صرخة في البراري..

تعشق الثرثرة فوق الغضب!!.

الفجيعة الكبرى في هذا الزمن، أن تكون إنسانا حقيقيا...

معناه أن تدمرك يوميا شظايا الأشلاء المتناثرة لبني جلدتك وعروبتك..

التي يتسابق عليها مهووسو الأخبار الدموية والقنوات التشهيرية..

معناه أن تقطع أجزاؤك، وأنت تشاهد الأطفال في إفريقيا يموتون جوعا كهيكل عظمي آيل للدفن!!.

معناه أن يمزقك عجزك، لرؤية الصهاينة يهينون أقصاك، يأسرون الرجال، يثكلون النساء، ويغتصبون وطنا وتاريخا!!.

معناه أن تظل متماسكا، وأطفالك يخرجون من فك الأنقاض أو من جوف البحر الذي لفظهم في صورة تسخر بقسوة من وحشيتنا المدمرة!!.

معناه أن ترى مسلمي بورما تجرب فيهم كل أنواع التعذيب والتقتيل، وأنت تصرخ وتبكي في صمت!!.

معناه أن تصبح كالوسيط الروحي، تتعلق بك الأرواح المعذبة في الأرض، لتسمع شكواها وتوقف نحيبها...

معناه أن ترى الأنوثة تهان وتغتال ومفروض عليك الصمت والتواري ..

معناه أن تغتصب الطفولة وتهتك من مرضى الإنسانية دون أن ينالوا إنصاف الإعدام، ليكونوا عبرة لأي مريض تسول له نفسه اغتصاب رضيع ذو سنتين!!.

معناه أن تراقب ملائكة الرحمة -الذين ألقبهم بزبانية الجحيم -يرتكبون إعاقات مستديمة في أدمغة المولودين الجدد، يفتكون بفرحة ذويهم دون رحمة أو شفقة، ليصبحوا من ذوي الاحتياجات الخاصة طيلة حياتهم!!.

معناه أن تحمل فجيعة كل العالم فوق أكتافك، تهرم قبل الهرم.. وتنحني قامتك لهول حمولتك...

معناه أن تنام وأنت تواسي المنكوبين في أركان ذاكرتك...

معناه أن تموت ألف موتة، وأنت قيد الحياة..

معناه...ومعناه...ومعناه..

أكملوا من أوجاعكم..

أما أنا.. فقد تعبت!!.

تعبت من الجشع الفظيع الذي استوطن النفوس..

تعبت من الشراهة وقلة القناعة، التي ارتدتها العيون وهي تتطاول بحقد وغل على ما يملكه الآخرون..

بسبب التهافت على ممتلكات الآخرين كثر الشره..

كثرت الخيانة..

قلت القناعة..

وفسدت النعم..

لا أحد يستمتع بما يملك..

لا أحد يقدر مالديه...

كل واحد يترقب ماعند الآخر بجشع..

بداية من الحذاء، وصولا للزوجة والمنزل والوطن!!.

الفرق أن ذاك يغبط بتمنِ تلك النعمة، مع بقائها عند الآخر..

وذاك يتمناها بحسد، أن تصبح له وتزول عن الآخر..

وهذا الأخير هو الطرح الفاسد الغالب في وقت كثر فيه التنازع والنزاع حول الخيرات، وأخذ كل شيء جميل عندالاخر..

لأن التمني وحده ماعاد يشبع!!. .والغبطة ما عادت تسمن أو تغني من جوع!!.

هذه الرغبة الملعونة تنبت منذ الطفولة في النزاع على الألعاب..

إن لم يحاربها الوالدان بطرق تربوية واعية وسليمة - تقتضي تعلم كل واحد كيف يستمتع بألعابه، دون التطاول على ألعاب أخيه وتعليمهم قواعد اللعب المشترك والإيثار وقتل الأنانية الفردية- فستكبر تلك الرغبة الملعونة وتتحول إلى شر فتاك!!.

هي رغبة تبدأ بالألعاب وتنتهي بالأوطان!!.

على هذا الأساس بنيت أركان الحروب واشتدت..

كل وطن جميل بقيت حسرته في القلب..

تطاولت إليه جوالق المنجنيق لتدمره وتمتلكه..

ولو جثثا.. ولو حطاما..

ولو صراخا لأهله وهم يدافعون بشراسة عن أرضهم..

المهم الامتلاك..

لهذه الرغبة الملعونة قتل قابيل أخاه.. لهذه الرغبة الملعونة شردت الأوطان..

هتكت الأعراض، قتلت النساء، غرق الأطفال..

وتركونا نحن نغرق في وصمة عار الصمت..نكابد أوجاعنا في بكاء تحتضنه أحرفنا فقط..

نراقب معاناة إخواننا دون حول ولا قوة غير الدعاء..

ماذا تركوا لنا.. لا شيء!!. غير الدعاء..

اللهم اَبعد الجائعين الشرهين للنعم عن كل الأراضي العربية الإسلامية..

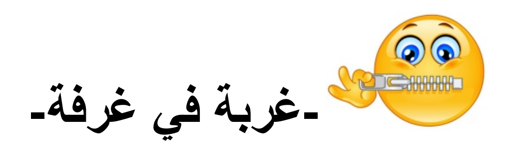
اللهم ارجع طمعهم إلى نحورهم.. وارجع كل المنفيين إلى أوطانهم معززين مكرمين.. يارب.

ورزازات

ويأكل لحمنا عرب، ويبقر بطننا عرب، ويفتح قبرنا عرب.

نزار قباني



-غربة في غرفة- 

من أصعب أنواع الغربة..

أن تشعري أن ذاك الذي قدمت له أحلامك وعمرك القادم، أصبح مجرد غريب يشاطرك البيت والأطفال..

تحدقين في عينيه ..

تصطدمين بالجليد، وعدم المعرفة..

لا يكاد ينبس في حضرتك بحديث..

يأكل في صمت، ينام في صمت، وتنجبين منه في صمت..

تجدين ملامحه تشبهه..

لكن أنفاسه لاسعة ك"شرقي" ظامئ في صحراء مقفرة..

لمساته كلمسات الموتى الأحياء تثير قشعريرة الذعر..

همساته كفحيح ثعبان جائع يبحث عن فريسة..

خطواته تثير وقعا كصدى موحش في جزيرة منسية..

ليس فيها طير يطير أو وحش يسير..

فقط فراغه الموشوم بالضياع..

هذه الغربة قاتلة..

ترميك في غياهب أمراض نفسية مختطلة..

رهاب الأماكن المغلقة..

الانفصام، العصاب، الذهان، الهستيريا..وكل الفوبيات بداية بالعتمة ونهاية بالضوء الكاشف..

تصابين بعمى الألوان، برؤية متوحدة سوداوية للقادم.. دائما تشعرين بذاك التنمل الخائف على رقبتك..

تترقبين يد ذاك الغريب، متى ستحط عليك لتفزعك!!.

فتصبحين وكأنك تسكنين بيتا مسكونا بالأشباح..

وحدها روحك تائهة تبحث عن ملاذ، تعيش غربة زوجية في غربة واسعة تحتضن كل الوطن والمفاهيم والسلوكات..الكل أصبح موشوما بالغربة..

الحسيمة

حين يضيق بك الواقع، احزم حقائب أفكارك، وسافر على متن كتاب.

فاطمة بن علا








في هذا العالم، أصبحنا نعيش عيش الغرباء..

ونلتقي مع الغرباء..

ونتواصل مع الغرباء ..

ونبوح بكل أسرارنا للغرباء..

ونثق بالغرباء...

الغربة أصبحت محبوبتنا الحداثية، فهي لا تهتم بمعرفة تفاصيلنا المخجلة.. ولا تهتم بتاريخنا الذي شوهه اللاحقون..

الغربة نرتاح لفساحتها وغموضها ولا مبالاتها، لأنها لا تضطر لمواجهتنا بمعرفة..

الغربة أرحم اليوم علينا من أنفسنا، ومن اللذين نعرفهم!!.

اللذين يعرفوننا، يؤذوننا ليس إلا..

في حين أن الغرباء اليوم، صاروا علينا وعلى أسرارنا أرحم!!.

إلى كل النساء اللواتي يعشن غربة في بيت الزوجية، ألف سلام وصبر..

لا تتركي نفسك تغوص أكثر في أعماق تلك الغربة..

قومي بواجباتك الدينية بخشوع وقيام ليل مكثف الدعاء..

التفتي إلى نفسك..

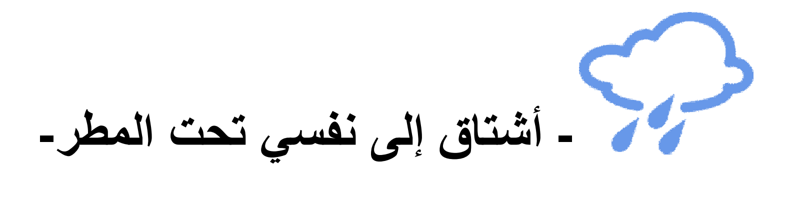
أبهجيها واعتني بحديقتها..

ارقصي على أنغام السعادة داخلك..

طيري على جناح كتاب..

أوجدي لك هواية أو مهنة تعطيك هدفا ساميا..

اقتلي الفراغ.. حتى لا تقتلك الغربة.



- أشتاق إلى نفسي تحت المطر-

مثقلة ذاكرتي..

متعبة بصور كانت فيها قبل أن أولد..

تكرر نفسها في أحلام ليلية متتالية، أنساها عند بزوغ الشمس، لا أتذكر فيها إلا أطيافا ضبابية وإرهاقا..

نائمة بذهن أرق..يفكر ويكتب..

نائمة أتوسد يقظة.. تتحدث وتخطط..

أطارد صورا غير واضحة المعالم..

أكتم أنفاسا لا تجيد استنشاق الراحة والسلام..

ذاكرة مضطربة..

تبحث عن ضفة آمنة تشكو لها الكوابيس المنسية..

تأمل أن تجد من يرتب فوضى الصور المتداخلة..

صحيح أنني لا أتذكر تفاصيلها..

لكن إحساس اليتم الذي تخلفه داخلي، ينبئني أنني أمام فقد ليلي يومي، يهدد أيامي القادمة بفقد باذخ الفجيعة..

لا ينقذني من غرقي إلا المطر..

كم أشتاق إلى نفسي تحت المطر....

كم أحن إلى البلل حتى النخاع..

أغسلني من الشوائب العالقة بي.

وأنا أعبر كل الفصول.. أواعد سرا حبات المطر تحت جسر البلل .. أتركها تمطرني بسيل عارم من قبلاتها الباردة..

لم أخبر أحدا أن ماء المطر، أفضل قناع تجميلي لقلب شاب خالٍ من القنوط!!.

لم أخبر أحدا أن كرهي للمظلات، يعود لعشقي لحمامات طبيعية مجانية، بجودة تفوق "الإيزو"!!.

تخلصك من غبار القلق..

تلقي عليك بلسم السعادة مع ميثاق طوعي للزكام على عدم زيارتك مهما تبللت!.

مرزوكة

أتعلمين أي حزن يبعث المطر، وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر،
وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياع،كالحب، كالأطفال، كالموتى..هوالمطر

بدر شاكر السياب



لم تعاتبني يوما والدتي على وصولي المبلل إلى البيت، أسقي بسخاء كل ماتقع عليه أقدامي التي تنزف ماءا...

فقط ممنوع تجاوز بهو المنزل إلى غيره...حتى أأمن عاصفة أمي!.

السعادة الطفولية المشعة مني، تحجمها عن قتلها بكلمة عتاب أو خوف، تعرف تواطؤ الطبيعة معي، تعرف أن عشقي للمطر يخجله من إصابتي بنزلة برد..

فغالبا ما أصاب بالزكام وأنا بعد في البيت، وتحت حماية لباس شتوي!!.

المؤكد، أن والدتي تعرف تماما هوسي بكل ما تجود به السماء والأرض، منذ نعومة عيوني المشبعة بألوان الطبيعة ومزاجاتها..

ذات شتاء تساقط البَرَد ..

بكل براءتي ذات الست سنوات، أخذت صحنا من المطبخ وسارعت خارجا لأتلقفه بكل سعادة، وأعود به مسرعة إلى البيت كي تحتفظ به أمي في قدر الطبخ على أنه "محمصة"(حبات من المعجنات) !!.

لم أكترث لذوبانها..

بحماس طفولي أسرع إلى أمي بحمولتي من البرد، ولها أن تتدبر كيفية الاِحتفاظ به..

دائما المطر هو دفء وسلام على روحي...

بعد البلل أشع فرحا وأتوهج..

وتستيقظ شقاوتي لترتوي حد الإشباع..

فأرضي جنوني كي أستمر بتعقل في باقي الفصول.



- الكريم بقليله يجعلك ملكة-

أحيانا تسقط المرأة في عشق رجل، فقط لكونه كريما..

تشعر بالدفء يغزو أنوثتها، تزهر للرعاية الرائعة التي يوفرها لها..

يلبي كل متطلباتها واحتياجاتها..

تشعر أنه مستعد لتقديم كل غال ونفيس من أجل إسعادها..

فتهيم فيه حبا..

البعض قد يسميها مادية..وصولية..مستغلة..

لكنها ليست كذلك..

هي فقط تستجيب لطبيعتها التواقة للتدليل والعناية الفائقة..

الرجل الكريم لا يشترط فيه الغنى.. ينفق من القليل، يسعدها من ذاك القليل..

والرجل البخيل لا يشترط فيه الفقر.. فكم من غني بخيل بفقر مدقع..

لا يترك وراءه لا الأخضر ولا اليابس..

لا يحس بحاجة المعوزين و جوعهم..

لا يحمل لهم تعاطفا قلبيا أو مبادرة فعلية عينية للتخفيف عنهم..

بل منهم من يراقب حقيبة خادمته الأرملة، حتى لا تأخذ شيئا من غناه لأطفالها..

يحاسبها على الدرهم !!.

ينهك طاقتها في أشغال من عيار حمل الأثقال..

يحرص على استنزاف عرقها قطرة قطرة، لتوفي مقابل دريهماته أضعافا مضاعفة من جهد!!.

هؤلاء يغتنون بعرق الفقراء وكدهم!!.

هذا النوع لا نملك المقدرة على حبه..

ولا نبذل مجهودا في النفور منه، وتجنب - ما أمكن- الاحتكاك به..

ألم يقولوا قديما: "جود الرجل يحببه إلى أضداده، وبخله يبغضه إلى أولاده!!".

البخيل مقصر في حق نفسه وغيره ودينه وواجباته الاقتصادية..

والسيئة الحظ من يكون شريكها أبد الدهر..

ستعرف معه الفقر المغتني..

يذيقها أنواع الحرمان الخارج من رحم متخم البذخ..

لا تملك إلا السخرية سرا من صديقاتها، اللاتي يحسدن نعمتها المرصودة والتي لن يطلق سراحها، إلا بعد أن تصبح أرملة!!..

الكريم، كرمه يتجاوز جيبه ليسكن عواطفه..

والبخيل، يمارس بخله مع كل جماد أومتحرك، وحتى مع الحب.

والرجل الكريم نوعان:

نوع محب متفان، كلما قدم أكثر.. كلما ازداد إحساسه أنه مقصر في حق من يحب.. ونوع ثان كريم بتعال، لا يكف عن تذكير من يحب.. بما أنفقه وما سينفقه عليه..

لذلك عزيزتي، عندما تشرفين على قبول من توفرت فيه الشروط الدينية والأخلاقية للزواج..

لا تهتمي بالغنى والشقة والسيارة و باقي المتلكات...

تذكري فقط، الكرم المعتدل النابع من أخلاق كريمة، غير مقرون بجوع لنعمة ولا من لعطاء ولا تفاخر ليذكر الناس مناقبه..

فالكريم بقليله يجعلك ملكة..
والبخيل بكثيره يجعلك متسولة وملكة منزوعة العرش!!.

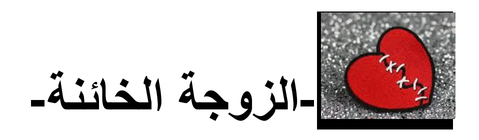








البخل أن يرى الرجل ما أنفقه تلفا وما أمسكه شرفا
الحسن بن علي بن أبي طالب



-الزوجة الخائنة-

شاق هو عمري قبلك...

وعاق هو بعدك...

ماعدت ذاك المسيطر المتجبر على كل رجفة قلب..

ماعدت أسلم لطيف لطيف لأنثى..

أحقا ثمة طيف لطيف لأنثى!!؟.

هناك على تلك الطاولة المشرقة في ركن هذا المقهى، قدمت لك روحي في علبة خاتم، وبعده بأسبوع وقعت عقد إسكانك في أضلعي إلى الأبد..

التلألؤ في عينيك أخبرني أني امتلكت بك كل النجوم..

مزهوا كطاووس..

فردت ابتسامتي في حديقة وفائك..

مختالا كملك..

تجولت بسعادة في مملكة عشقك..

ارتديت ألوان بهجتك، كأوسمة على بزة رجولتي..

معك شربت عذب الكلام من بريق عينيك..

وتذوقت عيوني حلاوة الابتسام من رحيق شفتيك..

فرشت لك أمنياتي..

صعدت بك على سلم أحلامي..

غطيتك بسقف طموح.. كنتِ أنت منتهاه..

عند كل عودة لي من العمل مساءا..

أبحث في الواجهات عن هدية تقترب لتشبهك رقيا...

أتعب قبل العثورعلى شيء منك في الباذخ من الهدايا...

ما كانت تكفيني كلها لتدليلك..

ما كانت قيمتها تصل إلى أول طابق في ناطحة سحاب عشقي لك..

لقبي لم أحبه إلا بعدما اقترن باسمك..

لتكوني سيدته وحرمه..

كم حلمت ببراعم حبي تنبت فيك..

كم حلمت بنسخ صغيرة تشبهك..تزرع ابتساماتك في دربي..

وتمجد عثوري عليك...

ذات شوق مزق كبدي، غادرت عملي مبكرا، كي أغرقك معي في مفاجأة الاِشتياق...

تلصصت الخطوات كي أدهشك...

سمعت صوت ضحكتك المغناجة المكتومة..

يبدو أنك أحسست بمقلبي يا توأمة الروح في تخاطر حسي رهيب..

تقدمت..

سمعتك تتحدثين إلي بذات الشوق.. وذات الحب.. وذات الحنين..

لكني لست على الهاتف..

أيا عذابي..

أنا هنا خلفك!!!.

مضيتِ.. غادرتني بوجع..

رأسي مندس بين سندان الخيبة، ومطرقة العار.. تركتني خلفك دون أن تستديري.. دون أن تعتذري!!. دون أن تبرري!!. دون أن تطلبي السماح!!.

لأني كنت سأغفر لك!!.

من أجل حبي وأحلامي، كنت سأمنحك فرصة ثانية..

الذي يخون قبل أن يفعل.. يكون قد قرر ترك كل شيء خلفه..

ماأوجعني.. خجلت سؤالك لم خنت؟!!. ترى هل خجلت وأنت تفعلين؟!!.

مير اللفت
تزنيت





- مهنة ربة بيت وجيل-

تتم ليلتها مرهقة، وتبدأ نهارها بإرهاق أكثر..

صراخ أطفالها ومناداتهم لها يحثها على هزم إرهاقها بعزم الأمومة وندائها...

تهيء وجبة الفطور،تغير ثياب أطفالها وتنظفهم ليأخذوا مكانهم على طاولة الأكل، دون أن يكفو عن مناداتهم لها، وسؤالها نفس السؤال مئات المرات..

كل فاه يكرره بطريقته الخاصة..

يتوجب عليها قتل التعب، ترتب صبرها ليستوعب فضول أطفالها وشقاوتهم..

تساعدهم بصراخ فاقد الأعصاب للعودة إلى غرفتهم للعب، لتنظف الفوضى المستلقية بشقاوة على الطاولة والأرض..

تفكر في الوجبة التالية التي تأخذ منها حصة الأسد من الوقت والجهد والابتكار...

لتعيد تنظيف المطبخ وتلميع أرضية البيت وترتيب كل الغرف، وإزالة الغبار والغسيل ونشره وترتيبه في الدولاب ..

كل هذا، مع غسل دائم لأواني المطبخ، تلك اللعينة تتوالد كالأرانب، لا تنتهي هي وتلميع الأرضية..

حتى بيت الراحة ليس كذلك!!.

هناك من يدق الباب، من يرغب -تلك اللحظة بالذات- في الدخول بإزعاجه ليفسد راحتها!..

بل منهم من يتفنن في معاينتها وهو يفسد راحتها..!!

بالكاد تجد متنفسا لتعتني بخصلاتها المتشابكة، التي نسيت فردها منذ حمامها السابق، تغير ثيابها بسبب الروائح العالقة بها وتبللها بالعرق..

تغرق في مقعدها تنشذ الراحة..

لتفسد هدوء جلستها، طلبات الصغار الوهمية..

أمي أريد الذهاب للمرحاض..!

أمي عثرت على قشة - تحتاجين إلى مكبر كي تريها-..!

أمي أريد شرب الماء.. !

أمي ضربني..!

أمي انتزع مني لعبتي..!

أمي أخذ مخدتي..!

أمي..أمي..أمي..!!

لدرجة تكره فيها اسم أمي..

وقد تصرخ بدورها لست أمكم!..

استقلت..!

المهم أن تسمع نبض عظامها في سلام يخلو من نداء..

يخلو من صراخ..

وعندما يعود الزوج..

يجدها بالكاد تلتقط أنفاسها..تقلب القنوات بتعب لتستمتع بترف لا تشاهده إلا هناك، وإن تذمرت بشكوى يقمعها فورا:

"ملعقة وصحن أنهكاك؟! طيلة اليوم تراقبين الأفلام والمسلسلات؟"..

ليختمها بالدخول بحذائه على الأرضية التي كسرت ظهرها وهي تلمعها، فتصرخ:

"مهلك، إنزع حذاءك وارتدي الشبشب المنزلي"..

يحدق إليها شزرا:

"وماهي مهمتك، أليست تنظيف البلاط"؟!.

ماذا قد تتوقعين من رجل منطقه موبوء بهذه العقلية الدونية..!.

ماذا ستنتظرين منه؟!!.

مهما دللك وأكرمك، لن يرتفع بك خارج حدود البلاط!.

أما على مائدة الطعام..فالحروب التدميرية من الزوج لا تنتهي:

"ليس كما تعده أمي، هذا حلو زيادة، ذاك مالح، هذا الجزء من المائة غير ناضج، حار، بارد، ساخن، لامذاق له!!!".

يا الله.. سأخنقه!!..

هذا ماتقوله الشرقية، أما في وطني، فتغمغم وهي تصك أسنانها غيظا:

"السم الهاري"...ليس "بدر هاري" ولكن القصد السم الزعاف!!.

قد تضيف بذات الغيظ:

" تاكل فيه الجغديد"!!.

لا تسألوني عن "الجغديد" فبدوري لا أعرفه!!.لكن المؤكد، أنه شيء قاتل!.

طبعا تهتف بذلك لنفسها سرا..!!.

(عندنا على الأقل، في المشرق لست أدري!!).

وإلا جعلها تعاين بعين متورمة محتوى مائدتها محلقا في الغرفة ملتصقا بالجدران..!!.

يحاسبها لأنها تهمله وتهمل نفسها..

يتهمها بالتقصير في واجباتها.. كأن البيت ينظف نفسه ويحارب الفوضى بنفسه.. وعندما تنهك صحتها وتنتهي..

يبحث في الغالب عن أخرى، تجيد الإِعتناء بنفسها بدل الاِعتناء بالبيت!.

ليس الزوج وحده من يبخس ربة البيت حقها..

بل حتى الدولة، سابقا يضعون أمام مهنتها:

"بدون"..!!!

تجمع عدة أدوار ومهام، وفي الآخر تكافأ بعدم تصنيف أواِعتراف..

أما الموظفة ربة البيت، فتلك كارثة من نوع آخر..

ركضها المسعور لا يهدأ، بل منهن من تجد العمل متنفسها للراحة، ومنهن من تحمل بعض الأعمال المنزلية إلى المكتب لتمضية وقت الفراغ: كالخياطة، فرد البازلاء، تنقية العدس وعدة "السفوف" في رمضان ووو..!!.

(هيا عزيزاتي الموظفات ذكرنني بما نسيت!!).

المسكينة لا تكاد تهدأ..

تنام وعقلها مستيقظ..

لا تجد وقتا للاِعتناء بأنوثتها أو الاستماع إلى راحتها، وإذا صادف وكان زوجها تقليديا متطلبا ونكديا ..

فسيحيل حياتها إلى جحيم، بحيث لا يطلق سراحها إلا وقت عملها، لتعود للأعمال الشاقة المؤبدة..

لتلعن حياتها ذات الوتيرة السريعة، التي لا تناسب صحتها وجسدها من التحمل.

هذه قصة أخرى سيكون لها نصيب في القادم من الأيام..

سيداتي، مهنتكن بكل فخر ربات بيت وجيل، سواء اعترفوا بكن أو جحدوا فضلكن...فأنتن عماد الرجال والأسرة والمجتمع..

بكن تقوى الهمم ويصمد الوطن ونقف في وجه البدع ومحاولة تمزيق تماسك الأسرة بكسركن..

سيدتي ربة البيت، لا تيأسي، لا تبتئسي، ولا تنتظري اعترافا من أحد، مجهوداتك من أجل أطفالك وبيتك وزوجك، وإن كان لا يثمنك جهرا فمؤكد يفعل سرا..

وتأكدي أن الله سبحانه وتعالى يغفر لك نوعا خاصا من الذنوب، بسبب هذا التفاني غير المعترف به بشريا..

ألف تحية وسلام للزوج المتعاون بحب مع زوجته، الذي يحمل عنها عناء الجهد والأحمال الثقيلة في عناية محبة بصحة حبيبته وأم أطفاله.

شلالات أوزود
أزيلال

المستهين بقدرات النساء، أتمنى أن تعاد طفولته دون أم.

نجيب محفوظ











- زوجي متدين منافق-

"ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" (سورة الروم الآية 20)، بصوت هادئ خاشع كان ذلك أول كلماتك إلي في حضور أهلي لتشجعني على الموافقة، للزواج منك..

لحيتك التي تغطي ذقنك ولباسك الشرعي اللذان لمحتهما في نظرة خجولة خائفة إليك، والآية الكريمة وحديث والدي المطنب عن أخلاقك ومواظبتك على أداء الصلوات في وقتها..

زرعوا اطمئنانا في قلبي أنك سترحمني وتعاملني بالمعروف..

وبما أنني كنت حبيسة المنزل دون عمل أو دراسة، قبلت بك وتزوجنا.. لتصدمني معاملتك القاسية وصلابتك في توجيه الأوامر إلي، وتذكيري بواجب الطاعة لك ورغبتك في تحقيق الشرع في التعدد.
تذكرت قريبتي التي تزوجت من ملتزم سني، الكل يتحدث عن سعادتها معه، هي، أهلها، هندامها والصحة والنعمة التي تشع من وجهها، كلما أزالت النقاب عنها..

لكن أنت لا تشبهه!!.

ما عدت أعرف ما الذي أرجوه في الاِستمرار معك..

ذقت معك أمر أوجاع الاِنتظار..

أذللت أنوثتي بالتسكع خفية مع عشيقات دون اسم أو هوية..

دست على أمومتي أمام أطفالي، بامتهان حضوري وتحقير دوري في حياتك..
أستجدي بخلك كل يوم، كي آخذ رزقي ورزق أطفالي منك..

تمارس الكرم مع من هبت ودبت، وتغذق على نفسك ما لذ وطاب..

وكلما توجهت صوب بيتك، شحت يدك وشح قلبك..

أين تاهت رجولتك وقوامتك وتدينك وورعك!!؟.

هذا الذي يدخل بيتي ليلا، مؤكد ليس أنت...

أخاف أن أسقط في زنا غريب دون علم مني..

أخاف أن يقع لي ما وقع لزوجة "نيكولاس كايدج "في فيلم "وجها لوجه"...؟!!

أفضل أن أفسر اِزدواجيتك وانفصاميتك بأغرب الأعذار، لأني لا أعرف لها منطقا معقولا ولا سببا مقبولا...

أهملتني..

ذللتني...

جعلتني أتوسل ماهو حق لي، وماهو حق لأطفالي..

فما أقساك!!.

جعلتني أعيش أرملة زوجها حي..

جعلتني أعيش الترمل في عز حضورك..

فوا ذل رجولتك وذل أبوتك!!.

تقترت على رزقك وحافظت عليه كي نكبر معا...

كبرت وحدك..

وتركتني وأطفالك نعانق الثرى جوعا..

حرمت نفسي من كل ما تشتهيه النساء، كي لا أتعبك.

لتنفقه سرا وعلنا على بائعات الهوى دون خجل ولا ضمير ولا خوف من الله ومن يوم الحساب..

دموعي ودموع أطفالي ستغرقك!!.

نيران الوجع في قلبي ستحرقك!!.

ظننتني بلا حول ولا قوة ولا سند...

أعلمك يا من جعل الله رزقي في جيبه...

أن الرزق لله وحده..

وهو يختبر كرم قلبك ويدك..

فويل لك من خيانة الأمانة والرزق..

وويل لك من بكائي حرقة وحرمانا ليلا كل يوم...

وويل لك من وكيلي ووليي فيك!!.

ويل لك زوجي من منتقم يمهل ولا يهمل!!.

تنغمس في ملذات الحياة، وتنسى أن لك أسرة أنت راعيها، ستحاسب على كل إهمال وانكسار وتفكك تزرعه في أركان بيتي...

ما الذي تنتظره مني .. ؟!!.

أن أستجدي العطف من الأغراب.. ؟!!.

أن أعود إلى بيت والدي كي آكل وأشرب أنا وأطفالي، لأني تزوجت شبه رجل؟...

ما الذي تريده؟..

أن أفتح ماخورا في بيتي كي أطعم فلذاتي وأسد رمقي ؟!!

أخبرني جهرا..

أي طرد تعسفي تخططه لي!!.

أتعبتني...

وأتعبت صبري معك...

فلا أنا قادرة على البداية دونك بأطفال..

ولا قادرة على البقاء معك..

معك اِختزلت كل حزن حياتي الباقية..

معك اِختبرت الخذلان المعتق في قبو خيانتك وبخلك ونفاقك..

معك اِستهلكت كرامتي كلها، وعبثت بي جسدا بلا روح...

معك تشرد كبريائي ورميتني في دروب القهر أستجدي أسمال حريتي الضائعة..

معك ماتت أحلامي وحضرت دفنها بمباركة مني وتصفيق أجوف منك..

معك تمردت على طيبتي..

وأيقظت كل الخطايا داخلي لتحمل اسمك وتوقيعك..

معك توسدت عتبة الهزيمة التي طالما تكبرت عليها وتجبرت...

معك تاه كلي ..

وكالمجنونة صرت أبحث عن بعضي..

عن اسمي..

عن ملامحي التي تشوهت بالبكاء علي..

أدمنت الشفقة على قلبي ..

وعاقرت كؤوس خيبتي..

وحقنت وفائي بجرعة زائدة لخيانتك..

كي أخدر جوارحي التي تمتلكها باسم الشرع والطاعة..

أكره رهاني الفاشل فيك...

راهنت عليك بكل ممتلكاتي..

راهنت كمتعطشة جائعة للربح..

كمدمنة قمار تبحث عن الإفلاس...

راهنت بقلبي ..

لأخسره!!.

ربطت حياتي وآخرتي بوثيقة موقعة طوعا مني..

وحملت جيناتك طوعا مني...

وخسرت معك عمري طوعا مني..

في حضوري عبثت بغيرتي وثقتي في أنوثتي ..

وأحلت الأنوثة المشتعلة داخلي إلى ثلوج ورماد...

تركتني جثة تحلم بقبر تختبئ فيه منك...

رضوض كفك على خدي نقشت بدم..

وأثار خستك على جسدي حفرت نخرا في العظم..

زمجرة سطوتك أصبحت أسوأ كوابيسي..

كلما سمعت هديرا.. تسارع تنفسي رعبا..

مباشرة عند انتهائه من الصلاة، يصرخ شتما في المناداة علي، كي أجلب حذاءه وألبي كل طلباته..

فأستغرب وأتساءل: أهذا حقا اِنتهى لتوه من مناجاة الله سبحانه وتعالى في الصلاة؟!!..

أحقا صلى؟!!..

أليست الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر؟!!

فلماذا يزداد فحشا ومنكرا..!!

وكم مرة يصلي نفاقا مع الضيوف دون وضوء..!!.

والأسوأ دائما يردد:

"النظافة من الإيمان!!."..

متعوس الأنف من يكون لصيقه في مجلس!!.

حبه للمال وتلميع صورته للناس لا ينتهيان..

خارجا يدفع فاتورة أصدقائه وأهله في إدعاء تفاخري للكرم..

وداخل بيته يقتطع تلك الفاتورة من مصروفي أنا وأطفالي، فيشح مطبخي وتغيب مؤونتي..

وإذا لاحظت أمرا أو باشرت بالتعليق على فعل من أفعاله المشينة، ضربني وهجر غرفتي وهو يتوعدني:

"اهجروهن في المضاجع..اضربوهن.. أنت زوجة ناشز..

الرجال قوامون على النساء..أنت ناقصة عقل ودين..".

تعبت من فهمه الأعوج للدين..

تعبت من سطحيته ونفاقه مع كل من حوله..

كل ما أقدمه له هراء...

كل ما أفعله غباء..

قتل رغبتي في الإِستمرار...

جعلني أدعو الله.. ألا يطول عمري معه...

أستيقظ كلي تعب وأرق وإرهاق، كم هو شاق يومي تحت سفالته...

كم هو شاق إرضاؤه...

وكم هو مهول ومرعب..

أن تكون طاعته، مفتاحي لدخول الجنة!!.

فهل الزوج الفاسد والفاسق والفاجر.. يملك في يديه مفاتيح جنتي؟؟

الأسوأ أنه يترفع عن كل اتهام..

يعتقد نفسه قديسا وجب تبجيله وتقديسه.
عندما شعر أن الحجاب رفع عن عيني..

مارس حقه في التعدد، وجلب مغفلة غيري أسكنها فوقي..

مرت الأسابيع الأولى بسلام..بعدها بدأت أسمع بكاءها..

تذكرت بداياتي معه..

أشفقت عليها..

وللغرابة لم تستيقظ الغيرة داخلي!!.

فقد قتل كل إحساس بالحب أو بمشتقاته..
تصيدت غيابه لأطرق بابها..

فتحت بعد تردد..

لأرى عصفورة صغيرة مرتجفة مكسورة العين والخاطر، تقارب سنا طفلتي البكر..

هدأت من روعها وطال حديثنا معا، لتصبح كاِبنتي خلف ظهره..

نسرق الضحكات في غيابه..

ونقلد نفاقه بمرح..

وجدنا طريقة خفية نعيش بها حكمنا المؤبد مع جلادنا الملتزم، الذي لا أحد سيصدق شكوانا منه..

فهو في أعين الجميع ملاك يمشي على قدمين.

لكل هؤلاء النساء نقول صبرا عزيزاتي..

فالله إذا أحب عبدا اِبتلاه!!.

خنيفرة

فهل الزوج الفاسد الفاسق والفاجر، يملك في يديه مفاتيح جنتي؟

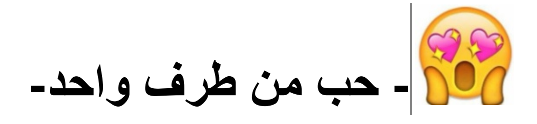
حسنية الدرقاوي











- حب من طرف واحد-

في الليل أعلل النفس المتلهفة برؤياك غدا..

فأضم وسادتي إلى صدري..

وأحاور طيفك في نومي، ويمضي ليلي كله وأنا أراقص طيفك، وأسمع صوتك ورنين ضحكاتك..

أعيش ما كان مستحيلا نهارا..

ما إن أراك، حتى تنقلب أمعائي رأسا على عقب..

وتتناثر أجزائي..كأوراق خريفية يابسة..

وتبرق عيناي ببريق حب عاصف أعجز عن إخفائه..

ما إن تمر لحظة، حتى أبحث عنك في كل الأركان.. ولا أرتاح حتى أستقر في عيونك، لأخفف من لهيب الشوق باِحتضان ملامحك وكل لمحة من حركاتك..

أحسد كل ما تقع عليه عيناك..فأنغمس في عذابي دون أن تدري..

ألا تسمع خفقان قلبي وهو يركض كقلب غزال مذعور!!.

ألا تلمس نفسي المتشردة خلفك!!.

ألا ترى عيوني المحملة بسحب العشق!!.

ما إن تراك.. حتى تمطر بغزارة من الخجل والتلعثم..

ألا ترى تبعثر خطاي وأنا ألتف حولك!!.

وتفاهة حديثي وجملي غير المرتبة..

فقط كلمات متقاطعة تبحث عن سياق ، فتفر مني الجمل ويغيب عنها التسلسل والمنطق..

فأغذو كطفل صغير يتمرن على الكلام..

ألا ترى أني أعيش حبا من طرف واحد،!!.

ألا ترى أني أحدثك عندما لا أراك!!.

وأنا أراك، يلبسني الخرس..

أبتسم لك فقط عندما تستدير!!.

وأهتف باسمك عند مرور القطار!!.

وأرفع عني شبهة حبك أمام الجميع، وعلى وسادتي أوقع بدموعي أنك كلك لي..

إلى كل من تعيش ضحية حب من طرف واحد..

اِستفيقي..

قفي في زاوية محايدة وأعيدي النظر إلى نفسك..

اِمتلئي ثقة واعتدادا بما تمتلكين لأن الشخصية المتماسكة، الأشخاص يسعون إليها وليس العكس..

كوني ذات كبرياء..لا تستجدي الشفقة من أحد.. ولا تجعلي من نفسك ضحية سهلة المنال لذئب يتربص بأمثالك..

كوني متأكدة أنك متوهمة لحب الشخص المناسب..

لو كان كذلك..

لانجذب إليك كيمياؤه..

لتقدم وبادر..ولتحرى عن ألف ذريعة لكسب ودك..

ألقي مصباح عقلك على عيوبه، ولا تنغمسي في الأغاني العاطفية التي توهن عزيمتك وتجعلك حبيسة وهمك..

لا تستسلمي للفراغ، عدوك اللذوذ..انشغلي بالمطالعة ولا تنفقي وقتك وعمرك على السخف والعبث..

أغرقيه بكل ما هو مفيد وستربحين ذاتك في الأخير، لأنك تجاوزت عدم نضجك العاطفي..

دائما اِستعيني بالصبر والصلاة والدعاء..

وستكونين دوما بألف خير.

أصيلة

الحب من طرف واحد معركة، الخاسر فيها ليس الطرف الذي يحب أو الذي يحب، ولكن المنتحر في النهاية هو الحب.

كامل الشناوي





-عري الكتابة-

نكتب عندما نحتاج إلى فسحة حرة نبوح فيها بكذب..

نكتب أنفسنا التي شوهتها الأحزان والصدمات، ونتفلسف بسفسطة ونحن نحلل مع القراء شخصية البطل، الذي ليس في الحقيقة إلا نحن..

نكتب عندما نحتاج إلى الكتابة عن مأساة الآخرين، التي تحتاج لأكثر من التقمص كي نبرع فيها.. نحتاج إلى تفاعل حسي يوجعنا.

وهم يحتاجون منك أن تفتح قلبك بطواعية، كي يسكنوا فيه بمأساتهم بسومة كرائية مجانية وبضريبة على البوح، تدفعها أنت وحدك فقط من بنك عواطفك الفاحشة التعاطف..

وفي كلتا الحالتين، تحتاج أن تنزف حبرا وتتقيأ حروفا.. كل تلك الفوضى التي تقض مضجعك..

كل قصة تأخذ منك شيكا على بياض.. حتى تفرغ رصيدك العاطفي.. لتعلن إفلاسك وانسحابك.. فتنزوي في زاويتك تداري إنهاكك وعجزك عن التفاعل بحياد..

الكتابة تحتاج قلبا جلموديا.. يستقبل كل عوامل التعرية دون أن يندثر..

تحتاج قوة شرسة تنقل بها مأساة الآخرين بسيطرة محترف، دون أن تنهار ضيما وضيقا..

الكتابة تحتاج شجاعة وحزما في إحكام إقفال ذاكرتك بعد الاِنتهاء من فجيعة الآخرين، دون أن تتركها تهاجمك ليلا في كوابيس تصرخ فيها من وجوههم المتآكلة وأنت تنشذ الخلاص..

لو طلب منا أن نكتب لحظة الحب فقط، لافتقرت الكتابة وأفلست وأقفلت كل دور نشر الحب وطبعه..لأن الفجيعة بئر.. حبرها لا ينضب..

أحيانا نكتب ما نفتقده دون أن ندري..

نكتب حلما يراودنا كلما خلونا إلى أنفسنا..

لو انتظرنا أن نحب كي نكتب..

سننتظر طويلا ونكتب قليلا!!.













- العصاة على النسيان-

النسيان ليس من شيم الأوفياء..

مهما مزقونا وبعثروا صورتنا أمام مرآة أنفسنا واستهزؤوا من مقدرتنا العجيبة عن الحب، لن يستطيعوا قتل ذكرياتنا معهم، وسيفشلون كما يفشل النسيان نفسه..

الموبوء بالوفاء يموت به، حتى النسيان لا يتمكن منه..

النسيان نعمة يمتلكها الخونة، وحدهم المستحمون في نهر هيراقليطس المتغير.. يستطيعون إدخال وإخراج من شاؤوا ومتى شاؤوا إلى ذاكرتهم!!.

أما العصاة عن النسيان في ربيع العمر فيحتاجون إلى فقدان ذاكرة مزمن، وفي خريفه إلى الزهايمر، ليتذوقوا حلاوة نسيان كل أذى وتعب وخذلان!!.

لهذا أنوء تحت وطأة الإرهاق..

بذاكرة متخمة ترفض الحاضر أكثر مما تعيشه.

أعزي نفسي ببهجة ماضية زارتني..

أسحب إليها خيبتي في عز انشغالي، كي أستمد منها القوة لأستمر..

كلما سرت في الأيام أكثر، شعرت كمن يقطع قفار الصحاري بلا بوصلة ولا يومية تعد عنه الأيام..

كلما حط قدمه، تهدده الكثبان الرملية بالاِبتلاع..يخيم عليه توجس غريب..متى ستسحبه الرمال المتحركة وتغرقه..أو يلتهمه الضياع.. لتنهشه العقبان المتربصة بالضائعين مثله؟!!.

كلما سلمت جسدي المكدود لصمت الليل.. أشعر أني لن أستفيق غدا..

لذلك أسرف عليه أرقا.. بترف ينهكني أكثر.. ويسرق مني الجهد.. في تبذير باذخ لصحتي ورونقي..

كم من ليال تغمض فيها عينيك كأنك نائم، وما أنت بنائم!!.

عقلك يضج بأفكار تتسابق، فكرة ترميك لحضن أخرى حتى ينقطع نفسك، ومع ذلك يأبى النوم أن يحتضنك، لتصبح نزيلا مشؤوما برداء أبيض في ليلة طويلة عند فندق الأرق، الذي يحسن ضيافة الوافد الجديد ويقدم له ما لذ وطاب من الأوهام والتخيلات وعيش عوالم يعجز عنها في الواقع..

متعبة هي تلك الليالي إذا توالت..

تجعل من الاستيقاظ ولادة عسيرة بمخاض مهلك..

وعندما يوقظني صوت الحياة المتخم برائحة القهوة من جيراني..

أسألني:

"هل في بقية لأكمل اليوم الذي ينتظرني برتابته ومتطلباته، أجدني دون جهد أو جسد مطواع لأقوم بها؟!."

فأظل مستلقية أستمع لدقات قلبي المتعبة وأنفاسي المتلاحقة.. أحدق في السقف بإستجداء كي يمد إلي جاذبيته لأقف!!.

عجبا، كيف لفوهة عيوني أن تفيض بسيول حارقة.. وجبيني يتقطر عرقا باردا وأنا أستشعر في قفاي علامة إنتهاء الوعي؟!!.

أعرف أني اليوم أنزف أكثر مما أكتب.. لأن المتبقي مني منهك.. والقادم مرهق أكثر بخيبته المهلكة.

لذلك حري بنا عند الموت بالخيبة.. ألا نعود إلى أجزاء كانت مشرقة فينا..

تصبح العودة كمشي متمهل للملح على الجرح..

فنبقى بين نارين: حسرتنا على ما فات، وندمنا على ما نعيش..

لنمر مرورا تعسا لا يستشعره إلا البؤساء منا..

أعرف أنك كنت أسطورتي واِنبهاري، معك عشت الحياة كما يجب قولا وفعلا..

لأموت أخيرا بحلمي فيك، وأستيقظ على حقيقة موجعة أنني أغرمت بك على أساس ما أردتك أن تكون..

لا كما أنت فعلا..

وعندما تشوشت نظارات الاِنبهار واِنتهت صلاحيتها الطبية، أدركت أنك خلاف لما أردت أن تكون..

وأني سقطت صريعة النقيض الذي طالما كرهته..

اِستيقظت منك وأنا موجوعة بالحنين، إلى الرفاهية العقلية والنفسية اللتين حظيت بهما قبل أن ألقاك..

لا شيء مما تفعله يارفيق دربي يفوتني، أو يفوت عيوني التي تعرفك ببصيرة..
أعرف لهفتك المتوترة التي تخفي بها أمرا جللا..

أعرف تذكرك لي بهدية ليهدأ ذنب خطيئتك..

أعرف محاصرتك لي واهتمامك الزائد بي، كي أستمتع بالسباحة في بحر ثقتك الملغومة..

أعرفك شريكي أكثر مما تعرف نفسك!!.

وليتني لم أفعل!!.

تاريخك ماجد بأجساد النساء والركض وراء تضاريس مؤنثة، وجمع موسوعة هاتفية لكل ظل يحمل تاء تأنيث، مع تصنيف مقرف للمزايا الجسدية ولأي غرض تصلح!!.

كنت سخفا يمشي على قدمين!!

وأنا ظننتك رجلا خارجا من الأساطير!!.

في حين أنك كنت قاطنا مغضوبا عليه في مجاري الشهوات، مطرودا من نعمة العقل والخوف من الله..

تبا لغبائي في الاِختيار!!

كلما رأيتك تنظر إلى جسد، أعرف فكرك القذر أين يجول وإلى أي مدى يصل!!.

أعرف متى أمسك هاتفك في يدي، لأعثر بسهولة على دلائل خياناتك..

لتتوسل بعد ذلك وتعد بالتوبة، لتعود بعد مدة لخطاياك..

وأعود بدوري لضبطك!!.

حتى تعبتَ من حدسي..

واِستسلمتَ للمحققة داخلي..

كرهتك في الخيانة، والجنون الذي يليها!!!

الآن مجبرة على استهلاك سنواتي الباقية معك..

وكلي عجز رهيب يكبلني..

ولا يسمح لي، لا بالعودة ولو بالذكريات..

ولا على العيش معك وأنا تقتلني الحسرات..

حكمتي وتعقلي وتسامحي يقولون:

"غفرت لك!!."..

وقلبي وكبريائي وثقتي الجريحة يقولون:

"أكرهك!!".

عزيزتي حواء لا تسمحي لأي حسرة مهما كانت أن تنسيك مهمتك كإنسانة ورسالتك في الحياة، أن تجمعي زادا ثريا من العمل الصالح وأن تساعدي في زرع ابتسامة في وجه كل بائس حقيقي أو مريض يحتضر أو طفل يتيم أو متخلى عنه..

انغمسي في العمل الاجتماعي الخيري، وستجدين كم كنت تافهة في حسرتك وخيبتك..

لا تصمتي لخيانة زوجك..

استمري في محاصرته وممارسة حصانتك الشرعية كحصينة له بذكاء ودهاء..

ونامي واتركي حدسك يقظا وبصيرتك فطنة..

تيداس

يرتكبون كل الحماقات التي تدفعك للرحيل، ثم يسألونك ببراءة: لما رحلت...

نبال قندس



- فخ الرومانسية -

أكبر خطيئة نرتكبها نحن النساء، عندما نصدق حب الروايات..

كل قارئة للرومانسية هي فاشلة بآمتياز في حياة الحب..

كل نظرة تعيدها وتكتبها لنفسها بطريقة مولهة، تغرق فيها أكثر وتغرم بأسلوبها في التصوير، في حين أن النظرة في الواقع لا تحمل إلا الخواء والفراغ..

الرجال معظمهم في الواقع لا يجيدون إلا الخيانة، وزيارة كل القامات المؤنثة بمخيلة شاذة، تمارس بعنفوان ما تعجز عنه واقعا بعجز مرضي..

بائسة من توهم نفسها بالوفاء المطلق لشريكها..

مغفلة من تعتقد أنها الوحيدة في قلبه دون كل النساء!!.

على كل عشاق الحرف أن يحترسوا من عشقهم الملغوم..

لأننا اعتدنا كل رواية أن نغرم بأبطالها، كل من وجهة نظره الآنتمائية ونشرته المناخية..

وعندما ننتقل إلى رواية أخرى نمارس معها ذات الطقوس ونفس العشق..

لنعيش حالة وفاء لرواية وحالة خيانة للأدب، فنعشق أكثر من كِتاب، وعندما نخرج ببهجة إلى العالم الواقعي.. نكون محملين بنماذج سحبناها معنا من رواياتنا، وأصبحت جاهزة لتفريغها في قالب متحرك بقلب..

فنستميت لنجد لها وعاءا يحتويها، ويسمح لنا بالاحتفاظ بالنموذج دون تلف..

كلما صادفنا مؤشرا في الوجوه التي نلقاها.. نتوهم شبيها لها في أحد نماذجنا..

فلا نتريث.. بل نسرع مباشرة إلى إفراغ كل عشقنا في وعائه، دون أن نتحرى قابليته للاِحتواء..

لذلك نفشل في العشق والاِستمرار فيه..لأننا نحمل حمولة رومانسية أكثر مما قد يتحملها شخص عادي وواقعي.

قبل أن تحبي وتفرغي حمولتك المسبقة عن النموذج الجيد، راقبي من اخترته، تريثي في الزواج به، واِتركي العنان لفراستك لتدرس مدى صلاحه كقدوة لأطفالك مستقبلا، تأكدي أنه ليس كتلة من عقد، ستورثك أنت وجيناتك رضوضا وتفككا أسريا.. يرمي بك إلى فك الضياع بلا رحمة..

استعيني بالمعايير الدينية لتليها النفسية والاجتماعية، واعلمي أنك لو فعلت كل هذا وفشلت في الاختيار..فهو قدرك ونصيبك، وذاك ابتلاؤك في الدنيا!!.

سأعيش رغم الداء والأعداء
كالنسر فوق القمة الشماء
وأقول للقدر الذي لا ينثني
عن حرب آمالي بكل بلاء
النور في قلبي وبين جوانحي
فعلام أخشى السير في الظلماء
وأنا الخضم الرحب ليس تزيده
إلا حياة سطوة الأنواء
أبو القاسم الشابي

مراكش



-هروب من التجريح إلى الجحيم-

تزوجت لأنها اقتنعت وأحبت..

لم تكترث للأحلام الجامعية المحلقة في الأفق، فقد تركتها خلفها طواعية، دون رجعة أو ندم..

لم تتخيل ولو في أسوأ كوابيسها، أن ذلك الحمل الوديع الذي أسرها وخطفها من أحلامها سيتحول إلى وحش مفترس، يفترس روحها بكلامه الجارح والقاتل، ويدمي جسدها بكدمات تعجز في بعضها عن الاستيعاب.. وتغيب في أخرى عن الوعي..

حاولت تفادي نوبات بذاءته ولؤمه دون جدوى..

جعلها المسؤولة عن فشله وخيباته المادية وإِنهزاميته، التي غابت عن فراستها بسبب عمى الحب والاقتناع..

اعتقدت أن مجيء طفلتيها سيلقي بالانفراج أخيرا على سلوكه الشاذ والمنفر، وينزع به ليكون شخصا سويا ومسؤولا..

لكن الوضع ازداد سوءا...تفاقمت حدة التجريح والعنف وغدت تتعرض لسوء المعاملة أمام عيون طفلتيها الجزعتين..

ذبل وجهها وشحب شبابها أمام صدمتها في الشريك الذي اختارته، وعارضت أهلها وتركت كل شيء خلفها من أجله..

لم تجرؤ أن تشكيه لأهلها أوتندب حظها العاثر أمامهم، لتعلن فشلها في الاختيار..

حتى استفحل الوضع، وأصبح العنف لغته اليومية الصارخة والضاربة، لتنهار مقاومة جسدها النحيل.. وتفرغ روحها من أي رغبة في الاستمرار والبقاء..

فاستسلمت أخيرا وطلبت الطلاق..

لكي يوافق دون مشاكل أو خسائر إضافية..

ابتزها لتتنازل عن كل حقوقها، بما في ذلك حقها في أمومة وحضانة طفلتيها..

ولأنها أفرغت من كل حس، وافقت لتفر بما تبقى منها..

وكما تركت كل شيء خلفها لتركض لهفة ورغبة إليه..

تركت كل شيء -حتى طفلتيها- كي تهرب منه ارتياعا وذعرا!!.

حتى عائلتها، لم تجدها نصيرة لها في هذه النكسة.. بل طلبت منها البقاء وتحمل الوضع الذي كان اختيارها الحر منذ البداية.

استقر بها المقام أخيرا بمدينة البيضاء، في غرفة بشقة في الطابق الرابع.. تضم ثلاثة غرف أخرى لفتيات متفرقات، يجمعهن بهو ومرحاض مشتركان..

ومعاناة تشابهت في الألم والخيبة واختلفت في التفاصيل..

وجدت عملا بمؤهلاتها الجامعية..

صحيح أنه بالكاد يكفيها، لكن على الأقل يوفر لها أجرة الغرفة ومستلزمات العيش والملبس.

تستيقظ كل صباح باكر على أغاني "إليسا"، وتتمايل بجسدها الأسمر الممشوق وتردد معها كلمات أغنيتها:

" خذ بالك عليا..دي مش معاملة تعاملني بها..وابقى افتكر ليا، أيام تعبت عشانك فيها..".

وعلى مائدة فطورها فنجان قهوة سوداء وعلبة سجائر..

تمج باستمتاع مؤلم سيجارتها وعيناها مغمضتان، ورأسها يتمايل بوجع راقص على وقع الكلمات التي تحس بها وكأنها تخاطبها..

تطلق دخان سيجارتها.. الذي تحاول معه إخراج شوقها الأمومي الجارف لطفلتيها، ومعه.. تنزل دموع حارقة تبتلعها مع قهوتها المرة التي تصبح مالحة دون سكر!!.

لا يخرجها من طقسها الصباحي الوفية له، إلا مداهمة وقت المغادرة للعمل، فتلقي الوجع خلفها وترسم ابتسامة مزيفة البريق على ملامحها السمراء.. وكأنها أسعد النساء وأوفرهن حظا..

تغيرت بعد طلاقها..

كانت تحلم بحياة كريمة تحققها بوظيفتها، وتكسب احترام نفسها و طفلتيها وعائلتها..

لكنها صدمت بواقع يمنح القليل ويأخذ الكثير..منحها السجائر..

ومعاقرة الخمر..

والإشباع المحرم للجسد.. هروبا من فجيعتها وشوقها القاتل الأمومي..

لتعود إلى غرفتها وحيدة، تحمل في أعماقها جوعا جارفا لأحاسيس الاعتزاز والفخر بالذات ومتعة الحلال وارتياح الضمير..

ومع كل انتكاساتها.. لا زالت تحمل وتحلم بأمنية كاسمها..

أمنية.. أنها ذات يوم قد تحقق حياة كريمة ومستقرة، وتعيد طفلتيها إلى حضنها الجائع إلى الأبد..

نصيحتي لكن يا بنات حواء..

أثناء الهروب من وضع يجرحنا نهرب دون هوادة..

دون أن ننتبه أو نفكر في الوجهة التي نهرب إليها..

كل همنا الالتفاف المرعوب للوراء، لنتأكد أن الذي نفر منه لا يطاردنا، وأننا تركنا مسافة أمان لا يصل فيها إلينا..

ولا ننتبه للسفح الذي نوشك على الوقوع فيه بخسائر لا تحمد عقباها..

نفر من جبهة واحدة، لتفتح أمامنا جبهات متعددة، تستمتع كل واحدة منها.. بأخذ نصيبها منا عذابا وتدميرا..

الهروب ليس الحل الأنجع في الغالب..

بل المواجهة المسلحة: بالعقل والحب والحيلة والصبر والمرونة والانحناء أثناء قدوم العاصفة، هم اللذين يضمنون البقاء والاستمرار..

الرجل يحقق النصر الساحق على المرأة..عندما يجردها من شراستها الضارية وهي تقاوم للاحتفاظ بحق أمومتها، وحقها الشرعي والمشروع في إشباع أنوثتها في إطار كريم، خارج الإذلال والحرام والخطيئة.

مسجد الحسن الثاني
الدارالبيضاء

وتمضي الليالي إلى قبرها
أسير أنا في شعاب الوجود

وتمشي الحياة مع الموكب
أفــتش عن حلمي المتعب

نازك الملائكة





- ذئب بشري-

التقته اليوم بعد أن تحرشت بها عيناه..
تلك العادية دون أي شيء مميز، أثارت إعجابه!!.
سعدت..
انتفضت المشاعر لتتجاوب معه بنظرة جريئة...
شجعته للتقدم بالتعرف إليها..
بعد غد، وقعت في حبه!.. لتطارده بكل الأحلام التي تحمل عن الحب، وبحمولة منعدمة من زاد الخبرة ..لأنه تجربتها الأولى في العشق...
بعد أسبوع..اختنق منها ومن حصارها العاطفي..
هو مجرد لعوب يهوى جر هامات النساء خلفه...
اختلطت عليه وسط الوجوه التي يعرفها، وضاع اسمها في هاتفه الذي يحمل آلاف المعتوهات غيرها..
وجب التخلص منها!!.
وجب قتلها بمبررات غليظة ليتحرر منها!!.
في محكمته..لم يكترث لرأي المحلفين ولا الدفاع ولا الضحية..
فقط اهتم بإعلان حكم الإعدام.. دون حق منها في الاستئناف..
وبكل وقاحة، أخبرها أنها لا تناسبه..
يحتاج إلى امرأة تختبر معه كل مفاسد الحياة!!.
يحتاج إلى من تعاقر الخمر معه!!.
وتسبح في عالم الإدمان المخدراتي، وتمنحه الجسد دون رقيب أو عتيد!!.
يحتاج لمن تجيد عيش الحياة مثله..!!.
ولأنها جائعة للحب..
عطشى للاهتمام..

ضعيفة الاعتزاز والوازع الديني..
وافقت بلهفة!!.
توسلته..استجدته ألا يتركها.. وستفعل ما يريد، وتكون له كما شاء...
الأبله تمادى للتخلص منها، لم يصدق حظه الفالح مع هذه المجنونة!!.
خرجت من بيت عذريتها وخجلها.. لتدخل دار خبرته ومجونه وتكون سهلة المنال كما اشتهى و أراد...
لم يمر أسبوع آخر حتى ملها وتعب من حبها و حصارها، فراودته من جديد رغبته في التخلص منها، فقد اختنق بأسئلتها التي لا تنتهي، وضاق صدره وخلقه بشوقها الجارف..
ذات مساء وعلى طريق غابوي، دعاها ليختبرا معا نشوة سيجارة مزاجية -ولأنها معه لا تعرف قول لا- وافقت ليتوغلا في تلك الغابة الموحشة..
وفيما هما يمجان الثمالة ويسرقان الانتشاء والانسلاخ عن الواقع..
هاجمهم ثلاثة شبان، أحدهم ألقى العشيق المنتشي بصفعة، ليهجموا على جسد رفيقته.. ويغتالوه تباعا أمام عينيه وبوحشية منقطعة النظير!!.
انتهوا منها!!.
جمعت شتات ذاتها الممزقة، التي أجبرها الألم والصدمة على قتل وهم انتشاء السيجارة المفخخة..
ركضت من أمامهم قبل أن يفكروا في إعادة الكرة...
انتصب جسد رفيقها واقفا..
حمل محفظته ودفع المبلغ المتفق عليه كاملا إلى المغتصبين، وشكرهم بفرح على نجاحهم في إنجاز المهمة التي كلفهم بها!!!.
عاد إلى مغفلته، ليمنحها المبرر القاتل والوحيد للتخلي عنها..
"لا أستطيع البقاء معك.. فقد اغتصبوك أمامي..!!!".
ليتخلص منها إلى الأبد!!.
لم يعرف أحد مآلها ولا حجم الألم الذي حملته في جوانحها، وهي تفر منه ومن العالم، لتشفق على نفسها كونها ضحية الحب..
في حين أنها ضحية نفسها ووهمها عن الحب..

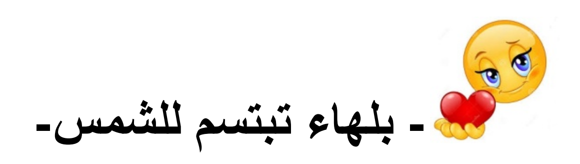
يأأختي اجعلي لنفسك كيانا صلدا مهاب الجانب..
اجعلي لك نموذجا شاهقا في الرجولة...
لا تقبلي بكل من هب ودب...
عيشي كما أردت أنت أن تعيشي ..
لا كما أراد هو.. كي يستمر معك...
لا تعيشي الرذيلة تحت غطاء الحب..فالحب في عفته وعفتك أبهى..
لا تتخلي عن أمانتك المؤتمنة عليها خارج الشرع والحلال..
لا تسلمي نفسك لذئب.. كي لا تنهشك باقي الذئاب..

تطوان

إصلاح المرأة الفاسدة أدنى إلى الشرف من إفساد المرأة الصالحة

مصطفى لطفي المنفلوطي





- بلهاء تبتسم للشمس-

كنت دوما صوب أنظاري..
كلما غادرت صباحا، أجدك بشعرك المبعثر محدقة في الشمس، تبتسمين بسعادة تشع نورا وسلاما وربيعا..
أبتسم في أعماقي، وألقي عليك تحية متجهمة تزيد من اتساع ابتسامتك، وكأنك تناولت وجبة فطور مبكرة مع ابتسامتي الدفينة!!.
أتحدث إلى رفاقي مساءا.. وأنا أراقب من فوق التلة بحثك المتأني في الحقول..
وحديثك إلى السنابل ولمساتك الحانية للزهور، التي لم أرك يوما تقتلينها في باقة تزين شعرك أو أذنيك.. كما تفعل باقي الفتيات..
أراقبك باهتمام، وكأني أخشى عليك من سيقان الفول الباسقة أن تبتلع قامتك وتضيعي هناك دوني!!.
دوما أراقبك اعتقادا مني.. أنك تستحقين المتابعة لغرابتك..لسرحانك الأحمق وحيدة وسط مسارب الحقول.. كغجرية لا تقبل إلا افتراش التراب وتلحف السحب.
في بعض الأوقات أعتقدك بلهاء.. توزعين ابتساماتك الساحرة على الشمس، والهضاب والآبار والكلاب والقطعان والطيور المهاجرة التي تطاردينها بجناح يديك وتقفزين..دون أن تنتبهي لترصدي الذي يخشى عليك الارتماء في لحظة انغماس وجنون..من فوق التلة!.
تتحدثين إلى معزتك السوداء.. تصدحين بصوتك الوديع في البئر..ليعود إلي صداه مبللا بالدفء.. ويقطر بالحب والحياة..
أما خطواتك.. ففجأة ترقص.. وفجأة تقفز.. كلما راقبتْ عيونك المتلهفة صفوف النمل على الأرض.. تأمرين خطواتك بتجنبها ..كي لا تسحقه!!.
إلا وجهي أنا !!.
تسحقينه بتلك النظرات الفارغة الباردة، وكأني الوحيد في عالمك غير المرئي..
دوما أكتم غيظي عنك بتجهمي..

أقاوم نفسي كي لا أصرخ فيك.. أني تحولت إلى سنبلة قمح.. فخاطبيني!!.
سحقا لي!!.
ماهمني في بلهاء مبعثرة الخصلات والهندام.. تطارد كل غير متكلم..بابتسامة..
ذات مساء عدت لأعلى درب حينا، أتحدث إلى رفاقي بذهن شارد، وعيوني تبحث عنك وسط الحقول والسنابل..
لم تلتقط أذناي إلا اسم والدك.. لتتيقظ حواسي كلها لحديث رفاقي:
" أتعلمون لقد رحل البارحة الحاج قاسم إلى المدينة"..
باغتوني.. اغتالوني.. تركوني في مواجهة اكتشاف مدمر ما كنت أفقهه بخبرتي..
تلك المبعثرة الخصلات.. تركتني مبعثر الخطى والمصير..
أوزع ابتساماتي ببلاهة.. على الشمس والسنابل والطائر والسائر.. علها تعود!!.

المعازيز، الخميسات

أقاوم نفسي كي لا أصرخ فيك...أني تحولت إلى سنبلة قمح، فخاطبيني !

حسنية الدرقاوي





- قاهرة اليأس-

قبل أن أعبر الشارع على عجل ككل يوم، انقطعت أنفاسي وتشتت نبضي،

وهو يطارد خطواتها الرقيقة الواثقة..

رفعت يدي لأحجب الشمس عن عيوني وعن عدم تصديقي، علها تكون سرابا

كباقي التهيؤات المهلوسة التي زارت فيها وحدتي مرات ومرات!!.

لكن خطواتها لا زالت ثابتة..

كيف ازدادت اشتعالا بالأنوثة بعدما ناهزت الست سنوات بعدا عن ينبوع حناني!.

من أين أتت بالخصوبة في هذه السنوات العجاف؟.

أم تراها عجافا على حقلي وعقلي وحدي؟.

كيف لها أن تشع بوهج يفوق الأشعة التي أحجبها عن عيني لأراها!!.

حجبت نورا.. لأرى شعلة نور أشد.. تذهب بالبصر والرشد والبصيرة!!.

وتختال أنوثة محتشمة على قدمين..

لا تبدو عليها سمات المهجورة..

لا ترتدي أسمال المتخلى عنها..

لا تندب حظها كباقي النساء..

لم تعتزل الحياة والحب كمحطمة للفؤاد..

أنفاسها تسابق الريح قوة..

دماء الحب تجري في وجنتيها...

والحياة تتسابق.. لتحتضن نضارة إقبالها..

كيف قهرت اليأس الذي تركتها تتجرعه بيتم!!.

يتيم أنا في ملجأ حنيني إليها، آوي إليه دون هوية أو تاريخ..

لا أحد يزورني غير ذكرياتها الوفية لتعذيبي..

إني أتعرق في جحيمي..

إني أغرق في خيبتي..

إني أعض نواجد الندم..
إني مرصود بشوقي إليها..
مهلك نورها..
موهن بريقها..
متعبة سطوتها..
مفترسة بعنفوانها..
تواريت بين الحشود.. لم أترك إلا بصيصا أتلصص فيه على التي هجرتها طوعا، لأرتمي في حب أخريات وأخريات ..
لكن عدلا.. تجرعت مرارة قهر الهجر وحدي..
بهامتي النحيلة..
وعيوني الغائرة..
وقلبي الفارغ من كل نبض..
أخذت ما تبقى مني.. مع خطواتها الرشيقة التي تعانق السعادة..
أتمنى لكل ضحايا الألم والمعاناة.. أن يقهروا اليأس ويجعلوه وقودهم للمقاومة والنجاح..
لا تستسلموا لليأس حتى لا تثيروا شفقة الآخرين..
لا تغلقوا على أنفسكم في محيط سلبي يقتل أي محاولة للانطلاق.

تجنبوا التركيز على الذكريات السيئة وقاوموها بأخرى سعيدة تثير البهجة في قلوبكم.
تسلحوا بهدف عملي ولا تجعلوا حياتكم تمر عبثا وبلا عبور نبيل.
لا تستمروا في ندب حظكم والبكاء على الأطلال، بل فكروا في حل عملي يخرجكم من ذاك المأزق.
انسلخوا من ذاتيتكم وانهمكوا في مأساة الآخرين ومساعدتهم..
زوروا المستشفيات ديور العجزة والملاجئ والسجون..وستشعرون أنكم بألف خير وعافية..
امنحوا لأنفسكم متنفسا كهواية لترتاح أعصابكم، وتفكروا بشكل هادئ و سليم.
تحدثوا إلى من تثقون في أمانته وحكمته ليمد لكم يد الصواب.
مارسوا الرياضة للتخلص من الطاقة السلبية واكتساب الثقة في النفس.
واضبوا على الصلاة من أجل السلام الروحي، وآمنوا بأن الله يرعاكم ويختبر صلابة إيمانكم.

وتذكروا دوما الآية الكريمة: "إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ"،صدق اللع العظيم،سورة يوسف الآية 87.

فأحلى فوز مولود من رحم المعاناة.



الفهرس

البريد الإلكتروني:

hassaniadarkaoui@gmail.com

موقع المجموعة القصصية "ثرثرة فوق الغضب" على الفايس بوك

https://www.facebook.com/hassaniadarkaoui/

